تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، فالمرجو صيانتها عن أي امتهان

المحجة

نصف شهرية جامعة

3 دراهم

المدير المؤسس
المفضل فلواتي رحمه الله تعالى

AlmahajjaJournal | almahajjafes@gmail.com | www.almahajjafes.net

المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج | 16 محرم 1439هـ الموافق لـ 07 أكتوبر 2017م | العدد: 485

من أوراق شاهدة

الأستاذة فوزية حجبي
صاحبة "من أوراق شاهدة" ترحل إلى دار البقاء

ص 13

اللهم

اللهم زدنا ولا تنقصنا،
وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا،
وآثرنا ولا تؤثر علينا،
وأرضنا وارض عنا
آمين

افتتاحية

مضامين الهجرة النبوية
سنن وهدايات

لم يكن حدث هجرة الرسول ﷺ وصحابته الكرام حدثا بسيطا عاديا لا أثر له في التاريخ كحدث أي إنسان عادي، وإنما هو حدث صنع الله به أمة على عينه، وأفنى به أمة أخرى واستخلف من بعدها أمة مؤمنة مسلمة.

ولم يكن حدث الهجرة خاصا بالنبي ﷺ ولا محصورا في الزمان والمكان والأعيان، وإنما كان حدثا ممتدا في المكان والزمان، وشاملا للأعيان من العباد جعله الله قانونا من قوانين الاستخلاف وسنة من سنن التمكين والتنفيس.

كما أن حدث الهجرة لم يكن كسائر أحداث الهجرات البشرية عبر التاريخ تحركها الحاجات المادية الصرفة من بحث عن الطعام والغذاء والسلم والأمن أو الغزو والاحتلال، وإنما كانت هجرة إيمانية لنصرة دين الله تعالى وإيثار حب الله تعالى على حب الروابط المادية من الأرض والمال والعصبية...؛ ولذلك كان تحرير النية من أي قصد مادي غير قصد ابتغاء رضوان الله هو ميزان الفصل بين الهجرة الربانية والهجرة الدنيوية كما يدل عليه قول النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيّات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه» (رواه البخاري ومسلم).

فكما كانت الهجرة فيصلا وفرقانا فصل بين الكفر والإيمان وفرق بين الباطل والحق، فكذلك حديث «إنما الأعمال بالنيات» صار قاعدة كلية في الدين للتمييز بين الإيمان الصحيح والفاسد، وبين العمل المقبول عند الله وغير المقبول، وصار منهج حياة يصنع الحضارة الإيمانية ويميزها عن أضدادها، ومنهجا تصاغ به الحياة الطيبة وينفى به الخبث.

إن الهجرة التي دعا إليها الإسلام هي هجرة من المنكر إلى المعروف، ومن السيئات إلى الحسنات، وهجرة من الظلم إلى العدل، ومن الجهل والخرافة إلى العلم واليقين، ومن كل ما يقوض بناء الإنسان إلى إقامة كل ما يبني الإنسان، وهجرة أمراض التواكل والاتكال والكسل والهزيمة إلى الجد والعمل وتعاطي الأسباب التي تدخل في مُكْنَة الإنسان والأمة اقتداء برسول الله ﷺ الذي كانت هجرته كلها تعليما للأمة وتربية لها على مبادئ العمل واتخاذ الأسباب المشروعة وتفويض النتائج لله تعالى.

وإن الهجرة النبوية ترشد الأمة عبر تاريخها إلى ما ينبغي أن يكون لها من المقاصد والأولويات، وإلى ما يلزمها من الوسائل والمعدات في كل مجالات الحياة وقطاعاتها ومستوياتها.

ولقد طال على المسلمين العهد، ورَانَ على القلوب رَانٌ كثيف مما استحدثه الناس عبر الزمان حجب عنهم إبصار نور الهدايات الربانية والسنن الإلهية في وراثة دين الله وإيراثه والتنعم بالحياة الطيبة في ظل ذلك، وصار حدث الهجرة عند بعض ضعاف المسلمين فرصة لإثارة النعرات الموهومة، ورفع رايات التفرق والتشرذم المشؤومة، وعند آخرين مناسبة لإظهار التعلق بالقشور وما عَلِقَ بالتدين من فهوم ضعيفة، وأقبح من كل ذلك فقد شرع كثير من المغرضين يفرغون ذكرى الهجرة النبوية من كل معانيها الإيمانية البانية وينشرون بدلا من ذلك كل ما شاع في الأمم الأخرى من الاعتقادات الفاسدة والعادات الكاسدة.

إن الأمة اليوم لتقف في مفترق طرق تحتاج فيه فعلا إلا تجديد نية الهجرة؛ نية هجرة الأوضاع الفاسدة والأخلاق السيئة والتدبيرات الفاشلة، واستحضار نهج النبي ﷺ في بناء الأمة باتخاذ الأسباب والعمل الدؤوب والتخطيط البعيد، والتجرد من كل الشواغل التي تشغل عن بناء المسلم النموذجي تدينا وأخلاقا وعبادة، والأتقى إيمانا وعملا، كما تحتاج الأمة لتجديد البيعة لله تعالى ورسوله على نفس المبادئ التي كانت في بيعة العقبة الأولى والثانية التي مهدت للهجرة وبناء الأمة العابدة لله تعالى الممتثلة لأوامره والمنتهية عن محارمه، والمدركة لسنن الله تعالى في البناء والفناء. وصدق الله العظيم حين قال: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: 138 – 139).

مفهوم العبرة في القرآن الكريم
دلالات ومجالات ومقتضيات

ص 2

ملف العدد

هِجْرَةُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَقِصَّةُ عَيَّاشٍ مَعَهُ

ص 7

دررمن المناقب المحمدية، ودلالات من الهجرة النبوية

ص 8

البناء الدعوي في ممهدات الهجرة النبوية

ص 9

دروس من الهجرة النبوية

ص 10

مرئيات حول العولمة والنظام العالمي الجديد

ص 14

مفهوم العبرة في القرآن الكريم: دلالات ومجالات ومقتضيات

يشكل مفهوم العبرة في الاستعمال القرآني مدخلا مهما لفهم كثيرا من الوظائف المنوطة بالإنسان وبالأمة لبناء الحياة الطيبة القائمة على موازين شرعية فيها الهداية والرشاد والخير والصلاح للعباد، وليس هذا فحسب بل إن إعمال الإنسان للمفهوم على أسسه العقلية المسددة بالوحي يفضي إلى ترشيد العقل البشري وتحريره من الأوهام والأهواء والشبهات وتوجيه الإنسان إلى إصلاح كل ما يصدر منه من سلوكات وتصرفات لتستقيم على ما ورد في الوحي من التوجيهات والهدايات.

فما هي إذن دلالات مفهوم العبرة ومشتقاتها الاسمية والفعلية؟ وما هي قيمتها العلمية والعملية في ترشيد تصورات الإنسان وتصرفاته في مجالات الحياة؟

1 - دلالات مفهوم العبرة:

تدور دلالة لفظ العبرة ومشتقاته في اللسان العربي على معنى مركزي هو العبور والانتقال من طرف لآخر سواء في الحسيات أو المعنويات، وجملة ما يستعمل فيه لفظ العبرة مما له تعلق بمقصودنا ما يلي:

1 - **الجواز والانتقال من مكان إلى آخر،** أو من نقطة البداية إلى غاية معينة، وفي هذا المعنى تقول العرب:عبر الطريق بمعنى جازها من جانب لآخر، وعبر النهر إذ انتقل من جانبه الأول إلى جانبه الثاني، ومنه عابر سبيل أي قاطعها ومجتازها من طرف لآخر؛ وفي القرآن الكريم: ﴿ولا جنبا إلا عابري سبيل﴾ (النساء: 43). ومنه أيضا تعبير الأحلام أي الانتقال من صورها الظاهرة إلى مدلولاتها الباطنة، ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (يوسف: 43) قال القرطبي: "تعبرون: العبارة مشتقة من عبور النهر، فمعنى عبرت النهر: بلغت شاطئه، فعابر الرؤيا يعبر بما يئول إليه أمرها" (الجامع لأحكام القرآن: القرطبي) وقال ابن منظور: "فقيل لعابر الرؤيا: عابر؛ لأنه يتأمل ناحيتي الرؤيا فيتفكر في أطرافها ويتدبر كل شيء منها، ويمضي بفكره فيها من أول ما رأى النائم إلى آخر ما رأى" (لسان العرب : مادة عبر).

2 - **الفرض والتقدير:** يقال: عَبَرَ الكيلَ إذا قدَّرَ كمَّه ومقدارَه، وعبرَ الدراهمَ إذا نظر كم وزنها.

3 - **البيان والإبانة:** يقال عَبَّرَ عما في نفسه إذا أظهر بالكلام ما في ذهنه من أفكار أو ما في نفسه من خلجات ومشاعر وانفعالات.

4 - **القياس والاتعاظ:** اعتبر بالحدث إذا اتعظ به، وورد في القرآن قوله تعالى ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾، أي: "تدبروا وانظروا فيما نزل بقريظة والنضير فقايسوا فعالهم واتعظوا بالعذاب الذي نزل بهم، ...والعبرة هي كالموعظة مما يتعظ به الإنسان، ويعمل به ويعتبر ليستدل به على غيره، والعبرة: الاعتبار بما مضى" (لسان العرب) وقال القرطبي: "والعبرة أصلها تمثيل الشيء بالشيء لتعرف حقيقته من طريق المشاكلة، ومنه فاعتبروا".

5 - **التدبر والاستدلال:** يقال: عبَر الكتاب إذا نظر فيه وتدبر ألفاظه وجاز منها إلى معانيها الخفية ومدلولاتها، قال ابن منظور: "وعبر الكتاب يعبُره عبرا: تدبره في نفسه، ولم يرفع صوته بقراءته" ويطلق على المتدبر للكتاب "العابر أي الناظر في الشيء، والمعتبر: المستدل بالشيء على الشيء" (لسان العرب) قال الطاهر بن عاشور: "والاعتبار النظر في دلالة الأشياء على لوازمها وعواقبها وأسبابها. وهو افتعال من العبرة".

2 - "العبرة" في القرآن الكريم:

2-1 مواطن الورود وحجمه

ورد لفظ العبرة ومشتقاته في القرآن الكريم تسع (9) مرات:

- ست مرات بصيغة عِبرة: وذلك في المواطن الآتية:

أ - ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (آل عمران: 13).

ب - ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف: 111).

ج - ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ﴾ (النحل: 66).

د - ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ (المؤمنون: 21 – 22).

هـ - ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (النور: 44).

و - ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ (النازعات: 17 – 27).

- مرتين بالصيغة الفعلية:

ز - بصيغة الثلاثي المجرد عَبَرَ، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (يوسف: 43).

ح - وبصيغة المزيد الخماسي اعتبر كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (الحشر: 2).

ط - مرة واحدة بصيغة اسم الفاعل: عابر كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾ (النساء: 43).

2-2 دلالات ومجالات :

مما سبق إيراده من مواطن ورود مفهوم العبرة ومشتقاته في القرآن الكريم يمكن تبين ما يلي:

أ – على المستوى الدلالي:

أولا: أن الغالب على الاستعمال القرآن للفظ العبرة والاعتبار هو معنى النظر الذهني وبذل النظر العقلي للانتقال من حال المنظور إليه الظاهر إلى مدلوله الخفي (الآيات الواردة أعلاه من (أ) إلى (ح)) بقصد إصلاح الحال وتصحيح السلوك أما المعنى الحسي الوضعي الذي هو الانتقال من مكان لآخر فورد مرة واحدة فقط (الآية الواردة في (ط)).

ثانيا: الغالب على الاستعمال القرآني الصيغة الاسمية (عبرة) حيث وردت سبعة مرات، والصيغة الفعلية مرتين، غير أن المقصود من الصيغة الاسمية هو الفعل؛ إذ وردت في سياق الخبر والقصد الأمر، فكأن المطلوب

> **المطلوب شرعا وعقلا من الأمة في كل زمان تكوين العلماء والباحثين المتمكنين من النظر العقلي والبحث العلمي الصريح ، فبهم تحيا الأمة وتستمر في الوجود؛ لأنهم بإعمالهم للنظر يدركون الحق ويدركون ما به تصلح الحياة ويتأهلون للقيام بوظيفة تصحيح ما انحرف من تصورات الناس وما اعوج من تصرفاتهم . وكل أمة قل فيها العلماء وأهل النظر قل فيها الاعتبار والاتعاظ ، وفشا فيها الغفلة والانحراف عن نهج الله تعالى وهداه . .**

إذن من العباد تحقيق فعل العبرة الذي لا يكون إلا بالعَبْر والاعتبار.

ب – على المستوى المجالي:

يلْحَظ أن الأمر بتحصيل العبرة والاعتبار جاء بتوجيه النظر إلى مجالين هما الكون والتاريخ البشري (قصص القرآن الكريم) بقصد إصلاح مجالين هما مجال التصور ومجال التصرف من أجل صلاح أمرين الحال (الدنيا) والمآل (الآخرة):

- المجال الأول إيماني علمي يتمثل في إدراك الحق تعالى إدراكا يقينيا من خلال الاستدلال بآياته في خلقه التي نصبها دلائل ظاهرة قابلة للانتقال منها إلى ما تخفيه من وجود الصانع الخالق انتقالا صحيحا لا يشوبه شك ولا يعتريه ظن كما في قوله تعالى: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (النور: 44) فالسياق الذي سيقت فيه الآية هو سياق" آيات الاعتبار المذكورة قبله لأنه أريد الانتقال من الاستدلال بما قد يخفى على بعض الأبصار إلى الاستدلال بما يشاهده كل ذي بصر كل يوم وكل شهر فهو لا يكاد يخفى على ذي بصر" (التحرير والتنوير) ونفس الأمر بالنسبة لسياق قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ (النحل: 66، والمؤمنون: 22)وهو سياق "تقرير وجود الله تعالى وتفرده بالإلهية بذكر آياته العظام" (فتح القدير للشوكاني).

- المجال الثاني عملي يتمثل في امتثال البشر لأمر الله تعالى بإقامة الحياة على هدى من الله تعالى بإتيان أمره واجتناب نهيه والاعتبار بمن سلف من الأمم وقياس أحوالنا بأحوال من سبقنا؛ فمن آمن منهم واتبع الهدى كالأنبياء وأتباعهم من المؤمنين كان له من الله النصر والتأييد والمعية والولاية، أما من كفر منهم وطغى وتجبر كفرعون (سورة النازعات) وبني قريضة وبني النضير (سورة الحشر) فجزاؤه العذاب والهلاك والخسران؛ من أجل هذا فالعبرة هي الموعظة والانزجار والعبور من حال الضلال إلى حال الهداية، ومن حال الفساد إلى حال الصلاح، ومن حال العصيان وغضب الله تعالى إلى حال الطاعة ورضى الله تعالى، ومن حال الهلاك إلى حال النجاة.

على مستوى مجال المخاطبين بالعبرة والاعتبار:

يلاحظ أن المخاطبين بالعبرة والاعتبار في القرآن الكريم دوما هم "أولي الأبصار" و"أولي الألباب" و"من يخشى" مما يفيد جملة هدايات منها:

أولا: أن إعمال العقل والتفكر في آيات الله تعالى في الكون المنظور والتدبر في آياته في الكتاب المسطور مطلوب شرعا من الإنسان إذ به لا بغيره يدرك المرء الحق، ويستقيم عليه.

ثانيا: التلازم بين العلم بالله وخشيته، فالعلم الصحيح لا يورث إلا الطاعة والامتثال والخشية، سواء أكان التفكر في عالم الأكوان أم في تاريخ الأمم من بني الإنسان ومصارعها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ وشاهده أيضا قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر: 27 – 28) أم كان التدبر في كتاب الله ووحيه.

ثالثا: أن المطلوب شرعا وعقلا من الأمة في كل زمان تكوين العلماء والباحثين المتمكنين من النظر العقلي والبحث العلمي الصريح، فبهم تحيا الأمة وتستمر في الوجود؛ لأنه بإعمالهم للنظر يدركون الحق ويدركون ما به تصلح الحياة ويتأهلون للقيام بوظيفة تصحيح ما انحرف من تصورات الناس وما اعوج من تصرفاتهم. وكل أمة قل فيها العلماء وأهل النظر قل فيها الاعتبار والاتعاظ، وفشا فيها الغفلة والانحراف عن نهج الله تعالى وهداه.

3 - خلاصات عامة:

مما سبق يمكن الانتهاء إلى جملة مستفادات يرشدنا إليها الاستعمال القرآني للفظ العبرة ومشتقاته، وسياق ورودها ومقاصده؛ ومن أهمها:

- أن مفهوم العبرة والاعتبار في القرآن الكريم مدخل صحيح للإصلاح الشامل الصحيح، إصلاح الفكر والعقول وتوجيه للعلم توجيها صحيحا فيما ينبغي أن ينفع الناس، وإصلاح الأعمال والسلوكات، وإصلاح مناهج النظر والتفكير والتعبير والتدبير.
- أنه مطلوب من كل إنسان مؤمنا كان أم كافرا ما دام قد زُوِّد بآلات النظر والاعتبار والاتعاظ، وهو مطلوب من المسلم والأمة المسلمة بالأولى لأنه المنهج الأهدى إلى التصالح مع الله تعالى، كما أنه المفتاح الرباني للشهود الحضاري والإمامة الخيرة للأمة على الناس أجمعين اهتداء بالحق واعتناء بالخلق.
- أن الأولوية الكبرى في الإصلاح إنما هي إصلاح العقول، وتحريرها من إسار التقليد والأهواء والشبهات، وتربية النشء المسلم على قواعد إعمال العقل وتوظيف إمكاناته في التفكر والتدبر، والافتكار والاعتبار، والتحليل والتعليل والتأويل الحق، وفي ربط العلم بالخشية والإيمان بالعمل. والله تعالى أعلى وأعلم.

الطيب بن المختار الوزاني

محرم شهر الله بداية عام جديد "دروس وعبر"

عن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ خطب في حجة الوداع. فقال في خطبته: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السَّنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات، ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب، مضر الذي بين جمادى وشعبان.» (1)

تقديم:

يفيد الحديث النبوي الشريف بألفاظه ومعانيه، أن عدد أشهر السنة اثنا عشر شهرا، وتتضمن أربعة أشهر تدعى "بالأشهر الحرم" ومما لا يختلف فيه اثنان أن الله تعالى قد اختار أزمنة وأمكنة شرف بعضها عن بعض، وجعل بعضها أعظم من بعض، ومن ذلكم الأشهر الحرم.

وعليه، فإن من أبرز الدلائل وأعظم البراهين على استشعار حرمة هذه الأشهر الحرم الأربعة، الحذر من ظلم النفس فيها وذلك بالابتعاد عن اجتراح السيئات، ومقارفة الآثام، واقتراف كل ما يخل بحرمة هذه الأشهر المعظمة، امتثالا لأمر الله تعالى: ﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ (التوبة: 36). فالذنب في كل زمان سوء وظلم للنفس، لكنه في الأشهر الحرم أشد سوءا وأعظم شؤما، لكونه يجمع بين الذنب وبين امتهان حرمة ما حرمه الله وعظمه.

• فضل شهر الله المحرم:

إن احترام شهر الله المحرم كان أمرا متوارثا عند أهل الجاهلية، يكفون فيه عن سفك الدم الحرام، مع ما هم عليه من جرم وظلم، وشرور وآثام، فمن الأجدر بالمسلم أن يعظم ماعظم الله، وذلك بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، لأنه يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه. ومما جاء في "لطائف المعارف" عن الحسن أنه قال: "إن الله افتتح السنة بشهر حرام، وختمها بشهر حرام، فليس شهر في السنة بعد شهر رمضان أعظم عند الله من المحرم، وكان يسمى شهر الله الأصم من شدة تحريمه"(2).

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال في قوله تعالى: ﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ (التوبة: 36). في كلهن، أي فلا تظلموا في الأشهر كلها أنفسكم، واختص من ذلك أربعة أشهر، فجعلهن حُرُما وعظم حُرُماتهن، وجعل الذنب فيهن أعظم، والعمل الصالح والأجر أعظم. (3)

ومن فضائل شهر محرم: أنه يستحب الإكثار من صيام النافلة فيه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم.....».(4)

فقوله ﷺ "شهر الله" من باب إضافة التعظيم، كما أن من أفضل أيام شهر محرم، اليوم العاشر، حيث صا مه الرسول ﷺ وأمر بصيامه، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: «ما هذا؟» قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى، قال: «فأنا أحق بموسى منكم» فصامه، وأمر بصيامه.(5)

بل إنه ﷺ أراد مخالفة اليهود بصيام هذا اليوم، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ «لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع» وفي رواية أبي بكر: قال: يعني يوم عاشوراء.(6)

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «صوموا يوم عاشوراء، وخالفوا اليهود، صوموا قبله يوما، أو بعده يوما».(7)

بل إن صوم يوم عاشوراء يكفر الله به خطايا عام بكامله، فياله من فضل عظيم وخير عميم!! قال الرسول ﷺ «صيام يوم عاشوراء إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله». (8)

• دروس وعبر مستفادة من شهر الله المحرم:

أنه شهر النصر لنبي الله موسى عليه السلام وقومه على فرعون الطاغية، بالرغم من كثرة عددهم وعتادهم، فالظلم نتائجه وخيمة، والباطل لا يقاوم الحق، والله ﷻ إذا أخذ الظالم لم يفلته، فهو قادر على أن ينصر دينه وكتابه وأولياءه وعباده الصالحين، ولو كره الكافرون، قال تعالى: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ (غافر: 51-52).

من أبرز الدلائل وأعظم البراهين على استشعار حرمة الأشهر الحرم الأربعة، الحذر من ظلم النفس فيها وذلك بالابتعاد عن اجتراح السيئات، ومقارفة الآثام، واقتراف كل ما يخل بحرمة هذه الأشهر المعظمة، امتثالا لأمر الله تعالى: ﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ (التوبة: 36). فالذنب في كل زمان سوء وظلم للنفس، لكنه في الأشهر الحرم أشد سوءا وأعظم شؤما، لكونه يجمع بين الذنب وبين امتهان حرمة ما حرمه الله وعظمه.

يوم عاشوراء، هو اليوم الذي قال فيه سيدنا موسى عليه السلام لقومه وهم ينظرون إلى فرعون وجنوده خلفهم، ﴿فلما تراء الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون﴾ (الشعراء: 61) فكان جواب سيدنا موسى عليه السلام بإيمانه القوي، وثباته على الحق: ﴿كلا إن معي ربي سيهدين﴾ (الشعراء: 62) فسيدنا موسى فوَّض أمره إلى الله، وأنعم به من تفويض، فمهما كان للعدو من قوة، فقوة الله فوق كل شيء، وقدرته لا يعجزها شيء في الارض ولا في السماء، قال تعالى: ﴿فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا﴾ (مريم: 84).

وفي يوم عاشوراء، قال فرعون المتجبر المتكبر الذي ادعى الألوهية، وقد أيقن بأن الهلاك مآله: ﴿حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين﴾ (يونس: 90) فكان الجواب من عند الله على هذا الإيمان الكاذب، فقال عز من قائل: ﴿آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾ (يونس: 91).

وفي يوم عاشوراء، اتضح للناس جليا أن الحق دائما ينتصر على الباطل، فهذا فرعون الذي ظن أنه لا أحد ينازعه ملكه، أو يهزم جنده، حيث أعلن بكل جرأة ووقاحة بأنه الرب الأعلى، لكن حين شاء القوي القدير أن يحل العذاب بفرعون، ما أغنى عنه ملكه وسلطانه، ولا جنده وأعوانه، ﴿فأخذه الله نكال الآخرة والأولى إن في ذلك لعبرة لمن يخشى﴾ (النازعات: 25-26).

• محرم والهجرة النبوية:

اليوم الأول من شهر محرم، ذكرى رأس السنة الهجرة النبوية، وبداية عام هجري جديد. والصحيح المشهور أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر بوضع التاريخ الهجري، وسبب ذلك أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر بن الخطاب إنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ فجمع عمر الناس للمشورة، فقال بعضهم أرخ بمبعث النبي ﷺ وقال بعضهم أرخ بهجرة النبي ﷺ فقال عمر بن الخطاب بل نؤرخ بهجرة النبي ﷺ فإن هجرته فرقت بين الحق والباطل.

وقال سعيد بن المسيب: جمع عمر الناس فقال من أي يوم نكتب التاريخ فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه من هجرة رسول الله ﷺ وفراقه أرض الشرك، ففعله عمر، وكان ذلك سنة سبع عشرة من الهجرة(9) فوقع الاختيار على هذا اليوم، لأن المحرم هو بداية السنة الهلالية العربية، ثم إنه أهم حدث في تاريخ الدولة الإسلامية، ولأنه أظهر من المولد والمبعث، وأضبط لئلا تختلف الشهور، وهو منصَرَف الناس من حجهم، بل هو بداية إقامة دولة الإسلام.

وختاما نقول: إن شهر الله المحرم مليء بالأحداث والدروس والعبر، وفضائله كثيرة ومتنوعة فهو شهر ليس كباقي الشهور، وأيامه ليست كباقي الأيام، فيه انتصر الحق على الباطل، ولقد أحسن الاختيار عمر رضي الله عنه حينما جعل بداية تاريخ التقويم الهجري، وقت هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، باعتبارها سببا في إنشاء القاعدة الأولى للخلافة الإسلامية، والله تعالى أعلى وأعلم.

---

1 – صحيح البخاري: باب قوله : ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا.....﴾ ج 6 ص 66.
2 – لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف: لابن رجب الحنبلي، ج 1، ص 34.
3 – تفسير الطبري: ج 14، ص 238.
4 – صحيح مسلم: باب فضل صوم المحرم، ج2 ص 821.
5 – صحيح البخاري: باب صيام يوم عاشوراء، ج 3 ص 44.
6 – صحيح مسلم: باب أي يوم يصام في عاشوراء، ج 2 ص 798.
7 – صحيح ابن خزيمة: باب الأمر بأن يصام قبل عاشوراء يوما أو بعده يوما مخالفة لفعل اليهود في صوم عاشوراء. ج 3 ص 290.
8 – سنن الترمذي: باب ما جاء في الحث على صوم يوم عاشوراء، ج 3 ص 117.
9 – الكامل في التاريخ: لعز الدين ابن الأثير، ج 1، ص 13/12.

ذ. علي السباع

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....

العنوان الكامل :.....

.....

الاشتراك السنوي : 20 عددا

■ داخل المغرب : 60 درهم

■ خارج المغرب : 20 أورو أو ما يعادلها

ترسل الاشتراكات باسم :

● جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية

● أو جريدة المحجة على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين فاس)

رقم : 2111113412900014

أما قسيمة الاشتراك والوصل فيبعثان إلى مقر الجريدة على العنوان التالي :

جريدة المحجة حي عز الله، زنقة 2، رقم 3، الدكارات،

فاس – المغرب

الآراء الواردة في مقالات الجريدة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الجريدة

جريدة المحجة	المدير المؤسس	المدير المسؤول	مسؤول الإخراج	الموقع الاكتروني : البريد الاكتروني :	عنوان المراسلة :	الإيداع القانوني : 1994-61 رقم الصحافة : 91/11 الترقيم الدولي : 3627-1113	الطبع : إكوبرانت التوزيع : سابريس
	ذ. المفضل فلواتي	د. عبد العلي حجيج	رشيد صدقي	www.almahajjafes.net almahajjafes@gmail.com	حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 فاس المغرب الهاتف : 0535931113 الناسوخ : 0535944454		

قال الله تعالى:

﴿سَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

(آل عمران : 133)

عنْ أبي أُمَامَةَ صُدَيَّ بْنِ عَجْلانَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه قال:

"سَمِعْتُ رسول اللّه ﷺ يَخْطُبُ في حَجَّةِ الْـوَداعِ فَقَالَ: «اتَّقُوا اللّه، وصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وصُومُوا شَهْرَكُمْ، وأَدُّوا زكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا أُمَرَاءَكُمْ، تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ»

(رواه التِّرْمذيُّ، في آخر كتاب الصلاةِ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ غِنًى مُطْغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوْ الدَّجَّالَ، فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوْ السَّاعَةَ، فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ»

(رواه الترمذي وحسنه)

قال ﷺ في سيد الاستغفار أن نقول:

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ قَالَ وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»

(رواه البخاري)

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لأشج عبد القيس:

« إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالأَنَاةُ»

(رواه مسلم)

عن سهل بن سعد عن رسول الله ﷺ قال:

«مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ»

(رواه البخاري)

عن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال:

"قُلْت: يَا رَسُولَ اللَّه! قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَك؛ قَالَ: قُلْ: آمَنْت بِاَللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ»"

(رواه مسلم)

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

"كان النبيُّ ﷺ أشدَّ حياءً من العذراءِ في خدرها، وكان إذا كرهَ شيئًا، عرفْناه في وجهه"

(رواه البخاري ومسلم)

«ولا تعجز...»

كلمة ربانية بأحرف نورانية ، فيها قبس قرآني وهداية نبوية، كلمة تأخذ منك وتعطيك، هي أشبه بخزان معرفي. إذ لا ينتهي العجز بنفاذ معانيه، وكل عصر يكشف منه ما لم تصله أفهام عصر سابق.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا أو كذا... ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان» (صحيح مسلم: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة ح 2664).

إن العجز أشكال وألوان، ودرجات ومستويات، وكبائر وصغائر، قد يبدأ من النقطة السوداء ويكبر حتى يلتهمك، فإذا أنت العجز نفسه. قد تعجز عن العمل أو المشي، وقد تعجز عن الرياضة أو المسجد، أو تعلم شيء جديد، وقل ما شئت من أنواع العجز وصوره. ولكن كلما نما العجز في نفسك التهم شيئا من إرادتك وعزيمتك، وقوتك وإيمانك...وعوضك عنها كسلا وتراخيا، وترددا وتفانيا.

إنه المرض الذي ترتضيه لنفسك ، والداء الذي تمكن منه دخيلتك، وفي كل ذلك مخالفة وإعراض عن أمر الله ورسوله، ألم يقل الرسول ﷺ: «المؤمن القوي خير أحب إلى الله من المؤمن الضعيف..» والقوة في الإيمان أولا، عندما يعجز عجزك، تسعى بكل جهد إلى المبادرة وانتهاز الفرصة والاستعداد لكل أمر ذي بال ، فتكون قوي العزم على ذلك، قوي النية فيه مصحوبا بالإرادة والحزم، ومزودا بالإيمان والأمل، لا يجتمع، الإيمان والعجز في قلب المؤمن، لأن همة محفزة إلى العمل الصالح، ودعوة مفتوحة لإنجازه، ترى إذا استيقظت من نومك ليلا، هل تبادر إلى الذكر والدعاء؟ أم أنك تحرص على أن تستجلب النوم مرة أخرى؟ ولو أنك اقتديت بهدي الرسول الأكرم الذي قال: «من تعار بالليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، فإن قال : اللهم اغفر لي، أو دعا استجيب له فإن توضأ وصلى قبلت صلاته» (النهاية في غريب الحديث 3/ 204)، كنت من الذاكرين لله قياما وقعودا وعلى جنوبهم.

لو أنك مرضت أو اشتكيت ألا تسارع إلى الطبيب والدواء، إنك لن تعجز، ولكن إذا سمعت الآذان: فهل تبادر إلى الصف الأول؟ أم أنك تختلق عذرا لعجزك عن ذلك؟ فتتباطأ وتتراخى وتتمطى وتتأوه وتخفي رأسك في الغطاء كما لو أنك لا تسمع النداء ...

إن العجز موت بطيء، يقتل كل ما هو مشرق فيك، وكل ما هو حي في جناباتك ويقنعك بالخمول، ويذبل فيك روح الهمة، فإذا كان للمعاصي أصل فمنها العجز «لا تعجز»، ومثلها: «لا تكذب»، و «لا تغضب» ، و «لا تحقرن شيئا من المعروف» كلمات نبوية مشرقة تفيض خيرا وجمالا، وصدقا وعدلا، كلمات تقودك إلى الأسوة الحسنة. وتدفع بك إلى كل مكرمة، وتأخذ بيدك إلى كل فضيلة .

إن العجز هو الداء الذي لا يفطن إليه كل طبيب، ولا يعرف له الصيدلي دواء، فتعاني منه ما تعاني، ومثله الوهن، فإذا استطبت العجز، فلا تعجب إن قل صبرك، وضاق صدرك. فتحرم أطايب الحياة، إنه الداء الذي يأتي على الطيب من مقومات وجودك، فتتمكن منك الغفلة ويستحوذ عليك النسيان، فتحرم مما ترغب فيه، ويذيقك العجز البأس الذي يصرفك عن كل لذائذ العيش ومتع الحياة، فيقعد بك عن المكارم ويسد في وجهك باب الفضائل، إنك عاجز وعجزك صار جزءا منك. فيتسلل إلى أعماقك وتمتد عروقه إلى معرفتك، فلا أنت تنميها ولا أنت محافظ عليها، وعلى فهمك لها، إنه العجز الذي ركبك بإغرائه، يأكل من عملك وطموحك كما يأكل من عبادتك وإيمانك. فتبدو خاوي الوفاض من كل خير ونبل، وقد انفض الناس من حولك، لأنك لا تصلح لهم، ولا ينتفع بك في معروف، ولا توصل إلى رفعة، ولا تتوسط في خير.

أبعد هذا تعجز....؟ انظر كيف يحاول الصبي أن يقف بدل الحبو، إنه يمارس محاولته عشرات المرات حتى يستقيم له المشي ، وهو حين يتحقق من ذلك ، يكاد يعانق الدنيا فرحا بمشيته المتعثرة ، عندما قال الرسول ﷺ «... ولا تعجز...» وضع يده على داء جد في محاربته، وقلما يتفطن له الناس وهم يماطلون ويترددون ويتهاونون ويتراخون وغيرها من الألفاظ الموحية بالعجز.

والعجز ثالث كلمة استعاذ منها الرسول ﷺ في دعائه المأثور: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ومن العجز والكسل ...» (صحيح البخاري: كتاب التهجد: باب فضل من تعار بالليل)، لقد أتبع العجز بالكسل لأنه نتيجة حتمية له إن لم يكن مقدمة له ...ولذا قرن بينها الرسول...إنه طبيب النفوس والقلوب فجاءت «لا تعجز» في الحديث قبل الخاتمة، وكأن النبي ﷺ ينبهك ويرشدك إلى أن عجزك سيضيع عليك ما سبق ذكره من الخصال الحميدة وسيفوت عليك الاتصاف بكل ما يحتاج إلى شجاعة وإقدام، واقتحام وجرأة، فلن تكون حبيبا إلى الله ولا إلى رسوله إذا كنت عاجزا، ولن تكون قوي الإيمان إذا لم تستوطن مقام الإحسان .

لا تعجز، دعوة مفتوحة لتجنب العطالة ومحالفة الراحة وخمول الهمة وموت الذكر.

لا تعجز، معناها استعن بإيمانك على مواجهة عجزك ، وبعبادتك على تجاوز ضعفك، ولتكن ثقتك في قدرتك .

لا تعجز، وأنت تسمع الشوق الدفين في الصوت الرخيم: الصلاة خير من النوم.

لا تعجز، فعدم عجزك هو الفعل المحمود، والحضور المنشود ووسيلة كل مرغوب ودليل الحرص على كل مطلوب.

د: محمد علوي بنصر

عاشوراء بين العمل المشروع والممنوع

الخطبة الأولى:

...

أيها المسلمون والمسلمات:

اتقوا الله تعالى وراقبوه واذكروا أنكم مُلاقوه، وموقوفون بين يديه: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ (الانفطار: 19).

عباد الله: التذكيرُ بأيام الله الخالدة، والوقوفُ أمامَها لأخذ العبرة، وتذكُّر النِّعَم، ورسم مناهج السَّير لما يُستَقبَل من الأيام شأنُ كل أوَّاب حفيظ، وطريقُ الصَّفوة من عباد الله، ودَيدَنُ المُوفَّقين أُولي الألباب. ففي اليوم العاشر من شهر الله المحرم أنجى الله موسى وقومه وأهلك فرعون وملأه، وذلك أن موسى عليه السلام خرج ببني إسرائيل من مصر لما اشتد أذى فرعون لهم، وحينما أيس موسى عليه السلام من إيمان فرعون بعد ما جاءه بالبينات الواضحات، والمعجزات الباهرات الدالة على صدقه، ولم يزل فرعون في تمرده وعتوه وعناده، يقول: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (النازعات: 24)، ويقول: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾(القصص:28)، ويقول: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ (الزخرف: 51). فلما اشتد حنقه وبغيه وتكذيبه لموسى أمر الله سبحانه كليمه موسى عليه السلام بالخروج بقومه، فخرج بهم، ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾(يونس: 90)، لقصد تعذيبهم والتنكيل بهم وإبادتهم ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾(الأنفال: 30) فلما كان البحر أمامهم، وفرعون وقومه من خلفهم، واشتد عليهم الكرب، ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ، قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾(الشعراء: 61 – 62) فأوحى الله إلى نبيه ورسوله موسى ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾(الشعراء: 63) أي كالجبل العظيم ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾(طه: 77). فتماسك البحر بإذن الله تعالى، ودخل موسى وقومه، وخرجوا أمنين مطمئنين سالمين، وفرعون وجنوده في إثرهم، فلما تكاملوا داخلين في البحر أمره الله بالانطباق عليهم فأغرقهم جميعا في لحظة واحدة، ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ، وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ﴾(طه: 78 – 79).

فاعتبروا يا أولي الأبصار، وتذكروا كيف كانت عاقبة الطغاة الظالمين وكيف كان منتهاهم ومصيرهم، وهذه سنة الله في خلقه، لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾(هود: 102). وقال سبحانه: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(النمل: 51 – 52).

فاتقوا الله عباد الله، وليكن حظكم من هذه الآيات التذكر والاعتبار، وأخذ الحيطة والحذر، والرجوع إلى الله تعالى بالتوبة والاستغفار، والخوف من عذابه وسطوته وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه والاستقامة على طاعته.

عباد الله: إن في هذه القصة القرآنية من الدلالات والعِبَر ما لا يُحَدُّه حدٌّ، ولا يستوعِبُه بيانٌ، وفي الطَّليعة من ذلك:

أولا: أن الله تعالى هو المُنجِّي من الكُروب والشدائد التي تنزل بأهل الإيمان، لا سيَّما الرُّسُل منهم، كما قال – سبحانه –: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(يونس: 103).

وهو دليلٌ بيِّنٌ على أن الإيمان والإسلام سببٌ للنجاة من كل ضرٍّ وشرٍّ في الدنيا، وطريقٌ للفوز بكل خير ونعيم في الآخرة، إذا التزمَ المرءُ بمُقتضياتهما، وعَمِل بأحكامهما، وهذا يقتضي من العبد إخلاصَ العبادة لله، وصدقَ اللُّجوء إليه، وكمالَ التوكُّل عليه، ولُزومَ بابه بشدَّة الضراعة والإلحاح والتوسُّل إليه، ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾(غافر: 65).

ومن ذلك ثانيا: أن سُنَّةَ الله في دحر الطُّغيان وهزيمة جُنده ماضيةٌ لا تتخلَّفُ ولا تتبدَّل، ولهذا قال – سبحانه – في بيان عاقبة فرعون: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾(القصص: 40 – 42).

وعلى العكس منهم: أولئك الذين استُضعِفوا في الأرض، فنالهم من صُنوف الأذى والعُدوان ما نالهم، ونزل بهم من الضرِّ والشدائد ما نزل، فقد جعل الله عاقبتهم عِزًّا وسيادةً وريادةً وتمكينًا في الأرض، واستخلافًا فيها، كما قال – سبحانه: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾(القصص: 5 – 6).

وهذه عاقبة الحقِّ وأهله على الدوام، مهما اغبرَّ وجهُ الحق، وغشيَته غواشي الباطل، وإن البشائرَ لتحقِّق هذه العاقبة للمُؤمنين المستضعَفين في غزَّة وسائر فلسطين، وفي بلاد الشام والعراق وميانمار، وفي كل بلاد الإسلام ، لتلوحُ في الأفق القريب، إن شاء الله.

فبُشرى لهم، ثم بُشرى، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الروم: 4 – 5).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وبسُنَّة نبيِّه ﷺ، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

...

عباد الله: لقد سنَّ رسولُ الهُدى -صلواتُ الله وسلامُه عليه- للأمَّة صيامَ هذا اليوم العظيم المُبارَك شُكرًا لله تعالى على نعمة إنجائه موسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين، وإغراق فرعون وجُنوده، وإظهارًا لقوة الصِّلة بين الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- بربهم، ولبيان أن دينَهم واحدٌ وإن كانت شرائعُهم شتَّى.

فقد أخرجَ الشيخان في "صحيحيهما"، واللفظ للبُخاريِّ -رحمه الله-، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: قدمَ النبي ﷺ المَدينة، فرأى اليهودَ تصومُ يوم عاشوراء، فقال: «ما هذا؟». قالوا: هذا يومٌ صالحٌ، هذا يومٌ نجَّى اللهُ بني إسرائيل من عدُوِّهم، فصامَه موسى. قال ﷺ: «فأنا أحقُّ بمُوسى منكم»، فصامَه وأمرَ بصيامه.

وفي لفظ لمُسلم -رحمه الله-: «هذا يومٌ عظيمٌ أنجَى الله فيه موسى وقومَه، وأغرقَ فرعون وقومَه، فصامَه موسى».

لقد سنَّ رسولُ الهُدى -صلواتُ الله وسلامُه عليه- للأمَّة صيامَ هذا اليوم العظيم المُبارَك شُكرًا لله تعالى على نعمة إنجائه موسى عليه السلام ومن معه من المُؤمنين، وإغراق فرعون وجُنوده، وإظهارًا لقوة الصِّلة بين الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- بربهم، ولبيان أن دينَهم واحدٌ وإن كانت شرائعُهم شتَّى.

وفي لفظ للطبراني -رحمه الله-: أنه -عليه الصلاة والسلام – قال: «نحن أحقُّ باتباع مُوسى منكم».

وأخبرَ ﷺ عن عِظَم ثواب صيام هذا اليوم فقال: «صيامُ يوم عاشوراء أحتسبُ على الله أن يُكفِّرَ السَّنةَ التي قبلَه»؛ (أخرجه مسلمٌ في "صحيحه" من حديث أبي قتادةَ الأنصاري رضي الله عنه).

ومن السُّنَّة -يا عباد الله- في صيامه: أن يُصامَ يومٌ قبلَه؛ فقد أخرجَ مُسلمٌ في "صحيحه" عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «لئن بقِيتُ إلى قابلٍ لأصومنَّ التاسعَ».

والمُعتمَدُ لدى أهل العلم بالحديث -يا عباد الله- أنه لا يصحُّ في يوم عاشوراء ولا في ليلته ولا في التوسعة فيه على العيال حديث، وكلُّ ما يُروَى في ذلك فهو مردودٌ لا يصحُّ عن رسول الله ﷺ. ولا يُستحبُّ فيه سوى صيامه وصيام يوم قبلَه.

فيجبُ اجتنابُ ما أُحدثَ فيه من البدَع؛ كإحياء ليلته وتخصيصها بالذِّكر والتعبُّد، وتخصيصه بدعاء خاصٍّ له يُسمَّى "دعاء عاشوراء"، واعتقاد أن من قرأه لم يمُت سنتَه تلك، وقراءة سُورة يُذكرُ فيها نبيُّ الله موسى عليه السلام في صلاة الصبح يوم عاشوراء، والاجتماع في يومه للذِّكر والدعاء، ونعي الحُسين رضي الله عنه ذلك اليوم على المنابر، واعتقاد أن البَخورَ يوم عاشوراء رُقيةٌ يُدفَعُ بها السِّحرُ والحسَدُ والمسُّ والنَّكد، إلى غير ذلك مما لم يأذَن به الله ولم يشرَعه رسولُه ﷺ، ولا عمِلَه أحدٌ من صحابته - رضوان الله عليهم أجمعين، كالرش بالماء، والتراشق بالبيض، والطماطم، وتلك عادات يهودية، وإشعال النيران وهي عادة مجوسية، والتعاطي للشعوذة بالذهاب إلى المقابر من طرف بعض النساء وتلك عادة شيطانية. واستعمال المفرقعات وغيرها من العادات الفاسدة التي قد تكون نتائجها وبالا على صاحبها وعلى غيره من الناس.

وقد حذَّر رسولُ الهُدى ﷺ من الإحداث في دين الله فقال: «من أحدثَ في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ» -أي: مردودٌ على صاحبه-؛ (أخرجه الشيخان في "صحيحيهما" من حديث أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-).

وفي لفظ لمُسلم -رحمه الله-: «من عمِلَ عملاً ليس عليه أمرُنا فهُو ردٌّ».

فاتقوا الله -عباد الله-، واحرصوا على إدراك هذا الفضل العظيم؛ بصيامِ هذا اليوم العظيم، ولُزوم السنَّة فيه، بالاتباع لهدي خير الورَى ﷺ، وحذارِ من ابتداع ما لم يأذَن به اللهُ في هذا اليوم وفي سائر الأيام؛ فكلُّ خيرٍ في اتباع من سلَف، وكلُّ شرٍّ في ابتداع من خلَف.

اللهم أصلِح لنا ديننا الذي هو عصمةُ أمرنا، وأصلِح لنا دنيانا التي فيها معاشُنا، وأصلِح لنا آخرتَنا التي فيها معادُنا، واجعل الحياةَ زيادةً لنا في كل خير، واجعل الموتَ راحةً لنا من كل شرٍّ...

د. عبد اللطيف احميد

نصوص الإعجاز القرآني (12)

تُعنى هذه الزاوية بجمع ما تناثر من نصوص الإعجاز القرآني في غير مصادره المتخصصة، وما تناثر في هذه المصادر لكن لغير مؤلفيها، كما تُعنى بتصنيفها حسب تاريخ وفاة أصحابها، وذلك خدمة لمكتبة هذا العلم، وفتحا لآفاق جديدة للبحث فيه، ومحاولة لإقامة (الموسوعة التاريخية لنصوص الإعجاز القرآني في التراث العربي).

(تتمة نصوص الطبري (ت310 هـ))

(4)

«القول في تأويل قوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الأنعام: 25).

يقول تعالى ذكره: وإن ير هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام، الذين جعلتُ على قلوبهم أكنة أن يفقهوا عنك ما يسمعون منك، (كُلَّ آيَةٍ): يقول: كل حجة وعلامة تدلّ أهل الحجا والفهم على توحيد الله، وصدق قولك، وحقيقة نبّوتك، (لا يُؤْمِنُوا بها) يقول: لا يصدّقون بها، ولا يقرّون بأنها دالّة على ما هي عليه دالة. ﴿حتى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ﴾ يقول: حتى إذا صاروا إليك بعد معاينتهم الآيات الدالة على حقيقة ما جئتهم به، (يجادلونك). يقول: يخاصمونك. (يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا). يعني بذلك: الذين جحدوا آيات الله وأنكروا حقيقتها، يقولون لنبيّ الله ﷺ إذا سمعوا حجج الله التي احتجّ بها عليهم، وبيانه الذي بينه لهم: (إِنْ هَذَا إِلَّا أساطِيرُ الأوّلِينَ). أي: ما هذا إلاّ أساطير الأوّلين».

[تفسير الطبري، 9/199]

(5)

«القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (يونس: 38).

يقول تعالى ذكره: أم يقول هؤلاء المشركون: افترى محمد هذا القرآن من نفسه، فاختلقه وافتعله؟ قل يا محمد لهم: إن كان كما تقولون: إني اختلقته وافتريته، فإنكم مثلي من العرب، ولساني مثل لسانكم وكلامي [مثل كلامكم ([1])]، فجيئوا بسورة مثل هذا القرآن.

والهاء في قوله (مثله) كناية عن القرآن.

وقد كان بعض نحويي البصرة يقول: معنى ذلك: قل فأتوا بسورة مثل سورته، ثم ألقيت سورة وأضيف المِثل إلى ما كان مضافا إليه السورة، كما قيل: (واسئل القرية) يراد به: واسأل أهل القرية.

وكان بعضهم ينكر ذلك من قوله، ويزعم أن معناه: فأتوا بقرآن مثل هذا القرآن.

والصواب من القول في ذلك عندي أن السورة إنما هي سورة من القرآن وهي قرآن، وإن لم تكن جميع القرآن، فقيل لهم: ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ ولم يقل: مثلها؛ لأن الكناية أخرجت على المعنى - أعني معنى السورة - لا على لفظها؛ لأنها لو أخرجت على لفظها لقيل: فأتوا بسورة مثلها.

﴿وادعوا من استطعتم من دون الله﴾ يقول: وادعوا أيها المشركون على أن يأتوا بسورة مثلها من قَدَرتم أن تدعوا على ذلك من أوليائكم وشركائكم، (من دون الله) يقول: من عند غير الله، فأجمعوا على ذلك واجتهدوا، فإنكم لا تستطيعون أن تأتوا بسورة مثله أبدا.

وقوله: (إن كنتم صادقين) يقول: إن كنتم صادقين في أن محمدا افتراه، فأتوا بسورة مثله من جميع من يُعينكم على الإتيان بها. فإن لم تفعلوا ذلك، فلا شك أنكم كَذَبة في زعمكم أن محمدا افتراه؛ لأن محمدا لن يعدو أن يكون بشرا مثلكم، فإذا عجز الجميع من الخلق أن يأتوا بسورة مثله، فالواحد منكم عن أن يأتي بجميعه أعجز».

[تفسير الطبري، 12/182-184]

(6)

«القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (هود: 13).

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: كفاك حجةً على حقيقة ما أتيتهم به، ودلالةً على صحّة نبوّتك هذا القرآن من سائر الآيات غيره، إذْ كانت الآيات إنما تكون لمن أُعطيها دلالة على صدقه، لعجز جميع الخلق عن أن يأتوا بمثلها.

وهذا القرآن جميع الخلق عَجَزَةٌ عن أن يأتوا بمثله، فإن هم قالوا: افتريتَه، أي: اختلقتَه وتكذّبته، ودلّ على أن معنى الكلام ما ذكرنا قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ إلى آخر الآية.

ويعني تعالى ذكره بقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾، أي: أيقولون افتراه؟ وقد دللنا على سبب إدخال العرب (أم) في مثل هذا الموضع.

فقُل لهم: يأتوا بعشر سور مثل هذا القرآن (مفتريات)، يعني: مُفتعَلات مختلقات، إن كان ما أتيتكم به من هذا القرآن مفترى، وليس بآية معجزة كسائر ما سُئلتَه من الآيات، كالكنز الذي قلتم: هلاّ أنزل عليه؟ أو الملَك الذي قلتم: هلاّ جاء معه نذيرا له مصدّقا؟ فإنكم قومي، وأنتم من أهل لساني، وأنا رجل منكم، ومحال أن أقدر أخلق وحدي مائة سورة وأربع عشرة سورة، ولا تقدروا بأجمعكم أن تفتروا وتختلقوا عشر سور مثلها، ولا سيما إذا استعنتم في ذلك بمن شئتم من الخلق.

يقول جلّ ثناؤه: قل لهم: وادعوا من استطعتم أن تدعوهم من دون الله - يعني سوى الله - لافتراء ذلك واختلاقه من الآلهة. فإن أنتم لم تقدروا على أن تفتروا عشر سور مثله، فقد تبيّن لكم أنكم كَذَبة في قولكم (افتراه)، وصحّت عندكم حقيقة ما أتيتكم به، أنه من عند الله، ولم يكُن لكم أن تتخيروا الآيات على ربكم، وقد جاءكم من الحجة على حقيقة ما تكذّبون به، أنه من عند الله، مثل الذي تسألون من الحجة، وترغبون أنكم تصدقون بمجيئها.

وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ لقوله: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾ وإنما هو: قل: فأتوا بعشر سور مثله مفتريات، إن كنتم صادقين أن هذا القرآن افتراه محمد، وادعوا من استطعتم من دون الله على ذلك، من الآلهة والأنداد».

[تفسير الطبري، 12/343-344]

([1]) - ما بين المعقوفتين ليس في نشرة الدكتور تركي، وهي زيادة مصرها نشرة الأستاذ شاكر لتفسير الطبري (15/91) ليستقيم المعنى.

د. الحسين زروق

إعجاز التشريعات الإسلامية في بناء المجتمع المثالي (9\10)

سلطة الإيمان وأثرها في الالتزام بالشرع

تحدثنا في مقالنا السابق عن سلطة الفقهاء ومدى الحاجة إليها، ودورها في الرقابة على حسن السير وفق التشريع على مستوى الفرد والأمة، وفي هذا المقال نلقي الضوء على سلطة مهمة أخرى وهي (سلطة الإيمان) ومدى تأثيرها في الانضباط الشخصي بالتشريعات الإسلامية لدى المسلم.

بين الشريعة والقانون:

عُرف في حياة الناس ما يسمى بـ (القوانين)، ووظيفتها أنها ناظمة وضابطة لحركة حياتهم في شؤونهم المختلفة، وعرفت في حياة المسلمين (الشريعة)، وتوجد فروق هائلة وكبيرة بين الأمرين، كالفرق بين الخالق والمخلوق، وأعظم وأهم هذه الفروق بين (الشريعة والقانون)، ما تملكه الشريعة من تلك الروح الإيمانية الدافعة إلى الرقابة الذاتية لدى المسلم في التمسك طواعية وعن حب وإيمان بأحكام الشرع، بخلاف القانون الذي يلتزم الناس بأحكامه متى كانت عليهم رقابة قريبة منهم، أو ترتب على مخالفته عقوبة يكرهونها.

وبناء على هذا فالمؤمن الحق حيال الشريعة لا يبحث عن الحيل التي تخلصه من سلطانها أو الهروب من التزاماتها، بينما الناس تجاه القانون يتحينون الفرصة للتملص من تبعاته والهرب من تكاليفه، وبهذا نكون أمام مجتمعين الأول: يسير وفق رقابة ذاتية لا تكلف المجتمع شيئا من وسائل الرقابة، والثاني: أمام مجتمع آخر لا يسير إلا برقابات مشددة وجهود كبيرة لتحقيق انضباطه واحترامه للقوانين.

سلطة الإيمان وامتزاجها بتفاصيل الشرع:

من مزايا العقيدة الإسلامية أنها عقيدة عملية، ومن مظاهر ذلك ارتباطها بالتشريعات، بحيث صارت أساسا لكل حكم شرعي، ودافعا إلى احترامه وتقديسه والالتزام به، وحامية من التهرب من ربقته، أو التخلص من تبعته.

يدل على ذلك ورود المعاني العقدية ممزوجة ومرتبطة بالأحكام التشريعية، بحيث يتحرك المسلم بمقتضى تصديقه نحو العمل والالتزام مهما خلت حياته من رقابات البشر، أو عقوبات النظام السياسي، ولنضرب لذلك أمثلة:

• قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ (النساء: 34). نلاحظ في ختام الآية أنها ختمت باسمين من أسماء الله الحسنى وهما (عليا كبيرا)، بعد حديث عن حكم نشوز المرأة وكيفية تصرف الرجل معه، فما دلالة ذلك؟ وكيف يظهر سلطان الإيمان في هذا المثال، يقول الإمام الرازي في تفسيره معلقا على ذلك: "وَذِكْرُ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ، وَبَيَانُهُ مِنْ وُجُوهٍ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْهُ تَهْدِيدُ الْأَزْوَاجِ عَلَى ظُلْمِ النِّسْوَانِ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُنَّ إِنْ ضَعُفْنَ عَنْ دَفْعِ ظُلْمِكُمْ وَعَجَزْنَ عَنْ الِانْتِصَافِ مِنْكُمْ، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلِيٌّ قَاهِرٌ كَبِيرٌ قَادِرٌ يَنْتَصِفُ لَهُنَّ مِنْكُمْ وَيَسْتَوْفِي حَقَّهُنَّ مِنْكُمْ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَغْتَرُّوا بِكَوْنِكُمْ أَعْلَى يَدًا مِنْهُنَّ، وَأَكْبَرَ دَرَجَةً مِنْهُنَّ.

الثَّانِي: لَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ إِذَا أَطَعْنَكُمْ لِعُلُوِّ أَيْدِيكُمْ. فَإِنَّ اللَّهَ أَعْلَى مِنْكُمْ وَأَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنْ أَنْ يُكَلَّفَ إِلَّا بِالْحَقِّ.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ تَعَالَى مَعَ عُلُوِّهِ وَكِبْرِيَائِهِ لَا يُكَلِّفُكُمْ إِلَّا مَا تُطِيقُونَ، فَكَذَلِكَ لَا تُكَلِّفُوهُنَّ مَحَبَّتَكُمْ، فَإِنَّهُنَّ لَا يَقْدِرْنَ عَلَى ذَلِكَ.

الرَّابِعُ: أَنَّهُ مَعَ عُلُوِّهِ وَكِبْرِيَائِهِ لَا يُؤَاخِذُ الْعَاصِيَ إِذَا تَابَ، بَلْ يَغْفِرُ لَهُ، فَإِذَا تَابَتِ الْمَرْأَةُ عَنْ نُشُوزِهَا فَأَنْتُمْ أَوْلَى بِأَنْ تَقْبَلُوا تَوْبَتَهَا وَتَتْرُكُوا مُعَاقَبَتَهَا.

الْخَامِسُ: أَنَّهُ تَعَالَى مَعَ عُلُوِّهِ وَكِبْرِيَائِهِ اكْتَفَى مِنَ الْعَبْدِ بِالظَّوَاهِرِ، وَلَمْ يَهْتِكِ السَّرَائِرَ، فَأَنْتُمْ أَوْلَى أَنْ تَكْتَفُوا بِظَاهِرِ حَالِ الْمَرْأَةِ، وَأَنْ لَا تَقْعُوا فِي التَّفْتِيشِ عَمَّا فِي قَلْبِهَا وَضَمِيرِهَا مِنَ الْحُبِّ وَالْبُغْضِ". (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج:4).

وفي سياق الحديث عن أحكام الأسرة، وبالتحديد في مسائل الإيلاء والطلاق التي يعدّ حالة غير طبيعية حيث يعتري الطرفين الغضبُ، وربما نسيان الحقوق، ولربما سادت كذلك روح البغض والكراهية بسبب خلافات عائلية ومظالم شخصية، هنا نجد الآيات الواردة في سورة البقرة تختم بالمعاني العقائدية السامية، التي من شأنها دفع كل طرف إلى التصرف من منطلق إيماني بعيدا عن صورة الغضب، والانفعالات الشخصية التي ربما تضيع معها الحقوق، فتختم آية الإيلاء بقوله تعالى: ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ ويناسب ذلك الفيء والعود، وفي آيات الطلاق يأتي قوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. (البقرة: 228) فتختم بقوله (عزيز حكيم) يقول الرازي: "وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ أَيْ: غَالِبٌ لَا يُمْنَعُ، مُصِيبٌ أَحْكَامه وَأَفْعَالَه، لَا يَتَطَرَّقُ إلَيْهَا احْتِمَالُ الْعَبَثِ والسفه وَالغلط وَالباطل". ثم تتابع الآيات مفصلة أحكام الطلاق في سياج إيماني يحمي جميع الأطراف من الظلم أو الوقوع في غضب الرحمن سبحانه، فتختم بـ ﴿واعلموا أن الله بكل شيء عليم﴾، وأخرى بقوله ﷻ: ﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النساء: 232).

إن هذا الدمج بين الأحكام التشريعية والمعاني الإيمانية العقدية كفيل بجعل سلطان الإيمان فاعلا في النفوس، وهنا تظهر شخصية المسلم على حقيقتها، فما أكثر المدعين الصلاح في غير ميادين العمل وأداء الحقوق، وإذا اختُبروا في مواطن العمل والتعامل مع الآخرين رسبوا ولم يفلحوا.

إن حقيقة الإيمان تتجلى في هذا المعترك الاجتماعي الذي يقتضي الإنصاف من النفس أحيانا، والاعتراف بالخطأ، وأداء الحقوق، وربما كلف ذلك المرء الكثير من المال، لكن المؤمن يفعل ذلك كله ما دام الشرع قد ألزمه إياه.

نصيحة:

وفي هذا السياق ننصح الدعاة والخطباء والوعاظ ألا يقدموا الفقه الإسلامي جامدا مجردا من موجهاته العقائدية ومنطلقاته الإيمانية، فلعلة ما دمج القرآن بين الأحكام الشرعية والمعاني الإيمانية، تلك العلة وذلك المغزى لابد أن يكون حاضرا وفاعلا في الخطاب الديني والدعوي، فلإيمان سلطان عظيم على النفوس يجعل الحياة تسير بسهولة ويسر بعيدا عن أروقة المحاكم ومجالس الخصومات.

د. أحمد زايد

هِجْرَةُ عُمَرَ وَقِصَّةُ عَيَّاشٍ مَعَهُ

د. يوسف العلوي

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب رضي الله عنه، قَالَ: اتَّعَدْتُ، لِمَا أَرَدْنَا الْهِجْرَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، أَنَا وَعَيَّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، وَهِشَامُ بْنُ الْعَاصِي التَّنَاضَبَ، وَقُلْنَا: أَيُّنَا لَمْ يُصْبِحْ عِنْدَهَا فَقَدْ حُبِسَ فَلْيَمْضِ صَاحِبَاهُ، فَأَصْبَحْتُ أَنَا وَعَيَّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ عِنْدَ التَّنَاضُبِ، وَحُبِسَ عَنَّا هِشَامٌ، وَفُتِنَ فَافْتُتِنَ.

فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ نَزَلْنَا فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِقُبَاءٍ، وَخَرَجَ أَبُو جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ إِلَى عَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَكَانَ ابْنَ عَمِّهِمَا وَأَخَاهُمَا لِأُمِّهِمَا، حَتَّى قَدِمَا عَلَيْنَا الْمَدِينَةَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ، فَكَلَّمَاهُ وَقَالَا: إِنَّ أُمَّكَ قَدْ نَذَرَتْ أَنْ لَا يَمَسَّ رَأْسَهَا مُشْطٌ حَتَّى تَرَاكَ، وَلَا تَسْتَظِلَّ مِنْ شَمْسٍ حَتَّى تَرَاكَ، فَرَقَّ لَهَا، فَقُلْتُ لَهُ: يَا عَيَّاشُ، إِنَّهُ وَاللَّهِ إِنْ يُرِيدُكَ الْقَوْمُ إِلَّا لِيَفْتِنُوكَ عَنْ دِينِكَ فَاحْذَرْهُمْ، فو الله لَوْ قَدْ آذَى أُمَّكَ الْقَمْلُ لَامْتَشَطَتْ، وَلَوْ قَدْ اشْتَدَّ عَلَيْهَا حَرُّ مَكَّةَ لَاسْتَظَلَّتْ، فَقَالَ: أَبَرُّ قَسَمَ أُمِّي، وَلِي هُنَالِكَ مَالٌ فَآخُذُهُ.

فَقُلْتُ: وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي لَمِنْ أَكْثَرِ قُرَيْشٍ مَالًا، فَلَكَ نِصْفُ مَالِي وَلَا تَذْهَبْ مَعَهُمَا، فَأَبَى عَلَيَّ إِلَّا أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُمَا، فَلَمَّا أَبَى إِلَّا ذَلِكَ، قُلْتُ لَهُ: أَمَّا إِذْ قَدْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ، فَخُذْ نَاقَتِي هَذِهِ، فَإِنَّهَا نَاقَةٌ نَجِيبَةٌ ذَلُولٌ، فَالْزَمْ ظَهْرَهَا، فَإِنْ رَابَكَ مِنَ الْقَوْمِ رَيْبٌ، فَانْجُ عَلَيْهَا.

فَخَرَجَ عَلَيْهَا مَعَهُمَا، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، قَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: يَا بن أَخِي، وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَغْلَظْتُ بَعِيرِي هَذَا، أَفَلَا تُعْقِبُنِي عَلَى نَاقَتِكَ هَذِهِ؟ قَالَ: بَلَى، فَأَنَاخَ، وَأَنَاخَا لِيَتَحَوَّلَ عَلَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَوْا بِالْأَرْضِ عَدَوا عَلَيْهِ، فَأَوْثَقَاهُ وَرَبَطَاهُ، ثُمَّ دَخَلَا بِهِ مَكَّةَ، وَفَتَنَاهُ فَافْتُتِنَ.

(وقد) دَخَلَا بِهِ نَهَارًا مُوثَقًا، ثُمَّ قَالَا: يَا أَهْلَ مَكَّةَ، هَكَذَا فَافْعَلُوا بِسُفَهَائِكُمْ، كَمَا فَعَلْنَا بِسَفِيهِنَا هَذَا.

قَالَ (عمر رضي الله عنه): فَكُنَّا نَقُولُ: مَا اللَّهُ بِقَابِلٍ مِمَّنِ افْتُتِنَ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا وَلَا تَوْبَةً، قَوْمٌ عَرَفُوا اللَّهَ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى الْكُفْرِ لِبَلَاءٍ أَصَابَهُمْ! وَكَانُوا يَقُولُونَ ذَلِكَ لِأَنْفُسِهِمْ.

فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ وَفِي قَوْلِنَا وَقَوْلِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ. وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

قَالَ عُمَرُ: فَكَتَبْتُهَا بِيَدِي فِي صَحِيفَةٍ، وَبَعَثْتُ بِهَا إِلَى هِشَامِ بْنِ الْعَاصِي، فَقَالَ هِشَامٌ: فَلَمَّا أَتَتْنِي جَعَلْتُ أَقْرَأُهَا بِذِي طُوًى، أُصَعِّدُ بِهَا فِيهِ وَأُصَوِّبُ وَلَا أَفْهَمُهَا، حَتَّى قُلْتُ: اللَّهُمَّ فَهِّمْنِيهَا، فَأَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى فِي قَلْبِي أَنَّهَا إِنَّمَا أُنْزِلَتْ فِينَا، وَفِيمَا كُنَّا نَقُولُ فِي أَنْفُسِنَا وَيُقَالُ فِينَا، فَرَجَعْتُ إِلَى بَعِيرِي، فَجَلَسْتُ عَلَيْهِ، فَلَحِقْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: فَحَدَّثَنِي مَنْ أَثِقُ بِهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ، وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ: «مَنْ لِي بِعَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَهِشَامِ بْنِ الْعَاصِي؟» فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ: أَنَا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِهِمَا، فَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ، فَقَدِمَهَا مُسْتَخْفِيًا، فَلَقِيَ امْرَأَةً تَحْمِلُ طَعَامًا، فَقَالَ لَهَا: أَيْنَ تُرِيدِينَ يَا أَمَةَ اللَّهِ؟ قَالَتْ: أُرِيدُ هَذَيْنِ الْمَحْبُوسَيْنِ -تَعْنِيهِمَا- فَتَبِعَهَا حَتَّى عَرَفَ مَوْضِعَهُمَا، وَكَانَا مَحْبُوسَيْنِ فِي بَيْتٍ لَا سَقْفَ لَهُ، فَلَمَّا أَمْسَى تَسَوَّرَ عَلَيْهِمَا، ثُمَّ أَخَذَ مَرْوَةً فَوَضَعَهَا تَحْتَ قَيْدَيْهِمَا، ثُمَّ ضَرَبَهُمَا بِسَيْفِهِ فَقَطَعَهُمَا، فَكَانَ يُقَالُ لِسَيْفِهِ: (ذُو الْمَرْوَةِ) لِذَلِكَ، ثُمَّ حَمَلَهُمَا عَلَى بَعِيرِهِ، وَسَاقَ بِهِمَا، فَعَثَرَ فَدَمِيَتْ أُصْبُعُهُ، فَقَالَ:

هَلْ أَنْتِ إِلَّا أُصْبُعٌ دَمِيتِ
وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ

ثُمَّ قَدِمَ بِهِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ.

سيرة ابن هشام.

دروس وعبر:

● الهجرة من مكة إلى المدينة قنطرة عبر منها المسلمون: من مرحلة الاستضعاف إلى مرحلة الاستخلاف، ومن مرحلة الجماعة إلى مرحلة الأمة، ومن مرحلة الدعوة إلى مرحلة الدولة، ومن مرحلة جهاد الكف إلى مرحلة جهاد الصف، ومن مرحلة بناء الفرد إلى مرحلة بناء الأمة... لذلك فقد كانت ابتلاء عظيما للمؤمنين ختم الله به مرحلة تربوية طويلة من التخليص من أوتاد الأرض، وخرج منها المؤمنون -بعد حصار الشعب- خالصين مخلصين لله، ليصلحوا للتمكين لمنهج الله تعالى في الأرض.

● الرسول الأكرم، ﷺ، أب ومرب ومؤسس، لم يكن أول خارج من مكة -في حماية الذين بايعوه من الأنصار ليلة العقبة الثانية مثلا- بل ظل بمكة حتى خرج كل أصحابه إلى المدينة، ولم يبق إلا من حبس أو فتن، أو شغل، مع يقينه أن رأسه هو المطلوب، ﴿بالمومنين رؤوف رحيم﴾.(التوبة: 128).

● التخلف عن ركب المؤمنين ذل، والبقاء وسط الأعداء -والمؤمنون يبنون صرح الخير وحضارة الرحمة- فتنة.

● الله أرحم بعباده، والنبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، والقرآن رحمة للطائعين منهم والعاصين، والقيادة الربانية لا تترك أولادها غرضا لنهش أفاعي الفتن ووساوس النفوس الوحيدة في المحن.

● المؤمنون جسد واحد، ويدك منك وإن كان أجدم، فالقرآن ينزل فيفهمه من أوتي الفهم، ويكتبه بيده من لم يغب أخوه عن باله، ويرسله على وجه السرعة للمبتلى لأن من حق المريض على إخوانه تعجيل علاجه، ويندب حامل الرسالة (الرسول الأكرم ﷺ) المؤمنين؛ من ينال شرف إنقاذ المبتلين؟ فهم بضعة من الحبيب عليه الصلاة والسلام ولن يهدأ باله حتى يراهم في الصف مع إخوانهم، وتأمل قوله: من لي...؟ فينهض لها من يأنس من نفسه القدرة عليها، وربك يفعل ما يشاء ويختار.

● جلائل الأعمال تحتاج إلى رجال، والأفعال المرضية لا بد فيها من تضحية، ومن عرف ما قصد هان عليه ما وجد،

وإن أنت إلا أصبع دميت
وفي سبيل الله ما لقيت.

> الهجرة من مكة إلى المدينة قنطرة عبر منها المسلمون: من مرحلة الاستضعاف إلى مرحلة الاستخلاف، ومن مرحلة الجماعة إلى مرحلة الأمة، ومن مرحلة الدعوة إلى مرحلة الدولة، ومن مرحلة جهاد الكف إلى مرحلة جهاد الصف، ومن مرحلة بناء الفرد إلى مرحلة بناء الأمة.

● التخطيط المحكم واجب لإنجاز المهمات، وتعاون الصالحين أدعى لتحقيق الغايات، والاستعانة بالكتمان سنة في قضاء الحاجات.

● الثلاثة ركب، والموعد عهد، والفرد ينتظر المجموعة، والمجموعة لا تنتظر الفرد.

● شياطين الإنس والجن لا تيأس، وحق أهل الصلاح أن يكونوا أكيس.

● الشهوة والشبهة مدخلا الشيطان إلى نفس الإنسان، إذا فتحهما المؤمن أو بعضهما استزلته الشياطين.

● المؤمن البائع نفسه وماله وكله لله يمنحه الله تعالى فرقانا يبصر به حقائق الأمور، ويعلم أن دعاوى أهل الجاهلية باطلة، عواطفهم زائفة، وعهودهم كاذبة.

● المؤمن ناصح لأخيه، مبين له خدع نفسه، وكيد أعدائه، لا يمل. فإن لم يبصر بذل له من ماله ما يرى معه تحقق أبصاره، فإن لم يفهم زوده بما يمكن أن تكون فيه نجاته، حتى إذا وقع فيما حذره منه لا يتركه بحال، بل يفكر في إنقاذه بكل الوسائل.

● من استغفل فغفل زل، ومن وثق بالأعداء ضل، وربك الغفور ذو الرحمة.

وخلاصة القول إن هذه الحادثة من حوادث الهجرة تكشف لنا نماذج بعض معاناة المهاجرين، وبعض كيد الكائدين، وبعض نماذج المهاجرين؛ ومن هذه النماذج نذكر ما يلي:

- نموذج عمر ﷺ، الذي اتضحت له أبعاد المعركة مع الشر، واستبان له طريق البناء، وعرف جسامة التضحيات، فأعلن البراء التام من الشرك وأهله مهما كان قربهم، وأعلن الولاء الخالص للحق وأهله مهما كان بعدهم.

- نموذج عياش ﷺ ابن الأسرة الثرية، شخص في نفسه بقايا حنين إلى ذويه، ورغبة في ماله، وثقة بمن ظهرت عداوته من أهله وعشيرته، وتلك أماني تتمناها النفوس التي لم تدخل في السلم كافة، وشهوات يزينها الشيطان فيغشي بها العيون أن تبصر الحقائق... فبعد أن وصل عياش إلى منجاته عاد أدراجه! وطمع عياش فوقع، لولا أن تداركته نعمة من ربه.

- ونموذج هشام بن العاصي ابن الأسرة الشريفة الثرية الذي منعته عشيرته من الالتحاق بأهل الحق، وسلطوا عليه صنوف الترغيب والترهيب، وأفردوه بينهم وقد سار أقرانه وأحبابه من حملة الرسالة، فلما فقد الأنيس وغاب الناصح وعز المعين، فتنه الأعداء فافتتن، ولكن الله الرؤوف الرحيم لا يترك أحبابه عرضة لعيث أعدائه، ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا﴾. (النساء: 141).

درر من المناقب المحمدية، ودلالات من الهجرة النبوية

د . عبد الواحد الإدريسي

إن المقصد الأسمى لكل مقول أو مكتوب أو مصور عن سيد الناس ﷺ، إصلاح النفوس على ضوء أخلاقه التي لا تحصى، وشمائله الحسنى التي لا تستقصى، فإن من أدمن تدبرها، وأحسن الإصغاء إليها، وجاهد في اتباعها علا منصبه، وعظمت مكانته؛ لأن ذكر محمد ﷺ من شعب الإيمان، وكمال الإسلام، لما يثمر من توقيره وتعظيمه، وإجلاله وتكريمه، وإيثار حبه على كل محبوب، فقد قال الله في محكم كتابه: ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه﴾ (الفتح :9)، قال ابن عباس حبر هذه الأمة: "أي تبالغوا في تعظيمه". وإن من توقيره وحبه ذكر شمائله التي تحرك قلوب المحبين، ومدارسة سيرته التي تزيد في إيمان المؤمنين، ألا وإن الأسعد بوسام الاحتفاء به وتكريمه من داوم على امتثال أوامره، واستلهم مقاصد أقواله وأفعاله وتصرفاته، فاعتبر بحلمه الذي فاق حلم كل ذي حلم، وتدبر في شجاعته، وعدله، وعفته، وحيائه، وتوحيده، وتعبده، وحسن توكله، وسخائه، وتواضعه.

ولئن كانت الهجرة مرحلة عظيمة وحاسمة في سيرة سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام، فارتضاها أرباب الفهم، وأعلام الهداية رضوان الله عليهم، للتقويم في تاريخ الإسلام، فإن السؤال عن مقاصدها وخبايا أسرارها من ألطف الموضوعات، التي تشتد العناية بها في أوقات الرخاء، وعند اشتداد الأزمات. والمنطلق فيها أن فضائل الإمام المتبوع موروثة في الأمة التابعة، لا يضيع شيء منها في أفرادها، إلا وهو محفوظ في مجموعها، فهي أمثل الأمم بلاء، وأسدها اهتداء، وأرحمها، وأولاها عدلا، وأعرفها بالخالق، وأعبدها له. ولئن تنكبت ردحا من الزمان عن سبل العز، وانقطعت بها الحيل، فإن أجيالها مدعوة بصفة فورية، للاعتبار بالهجرة المحمدية، وما فيها من الدلالات الهادية. وإني مجمل بعضها فيما يلي:

• **أن الإسلام إلى عز ومنعة:** إن بعز عزيز أو بذل ذليل، لا يزيده سواد الأيام أو بياضها إلا ثباتا في القلوب، وامتدادا في العقول، ولا تعيقه المكايد والدسائس؛ لأن غاية ما يناله أعداؤه تنقص بعض الأرواح من المومنين، أو اختلاس بعض أموالهم، أو ما دون ذلك من الأذى.

• **وأن المنهج الأسلم لحملة الإسلام ودعاته، سلمي مدني بالأساس،** يدافع الحجة بالحجة، فقد أمر ﷺ بالصبر في حال القلة، ولم يأذن باستعمال القوة إلا عند الضرورة. وفرض الهجرة مقدم في كتاب الله على فرض الجهاد، وقد أمضى نبي الله ﷺ أزيد من عشر سنوات يعلم الناس فقط؛ أن لا يدعوا مع الله أحدا، فأرشد بسيرته إلى الترفق بالناس، وتقديم تعليمهم وتنقية معتقداتهم، قبل مجادلتهم بأحكام وتشريعات، أو الإنكار عليهم في انزلاقات ومخالفات، وربى أتباعه على أن جماع الخير كله الصبر، وقد استفرغت قريش قواها في إذاية المسلمين، وبذلت جهدها في منعهم من معتقدهم وشعائرهم، بل منعتهم من الهجرة التي هي أحد معالم الصبر.

• **أن الدين أكبر مقوم في مفهوم الوطن:** فأوثق عرى الإسلام بعد الإيمان؛ الهجرة، وهي شديدة المرارة، وفي غاية الخطر، لا يطيقها إلا الأقوياء؛ لما فيها من تحمل الغربة وشتات الشمل، وتجشم المشقة، إذ هي: التخلي عن مكان وعشيرة شأنهم الاغتباط بهم، إلى مكان وقوم آخرين يقل فيهم الضرر، وأكبر ضرر يدفع إليها الفتنة في الدين، وعدم الأمن. تفارق النفوس مألوف بلدانها، وأهل ودها من ذوي رحمها، وأولي قربها وجوارها، وتخاطر بترك أملاكها وسائر نعمها، طلبا لما هو أجدر بالفخر، فمن لم يطق الهجرة، وكان قادرا عليها، فقد ظلم نفسه بتركها، واستحق العتاب والتوبيخ؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ (النساء: 97)، روى البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين؛ يكثرون سواد المشركين على عهد رسول الله ﷺ، يأتي السهم يرمى به فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب فيقتل، فأنزل الله تعالى: ﴿إن الذين توفاهم﴾ الآية. ومثله في الدلالة قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ (العنكبوت: 56)، أرض الله واسعة، لا قدسية لبعض أطرافها بذاته، فمن لم يتمكن من عبادة ربه التي هي غاية وجوده بسبب معاندين من قومه، يفتنونه؛ فليهاجر إلى أرض أخرى يأمن فيها ويتمكن من عبادة ربه. فقد قال الخليل عليه السلام: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (الصافات: 99)، ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (العنكبوت: 26)، هاجر ابراهيم عليه السلام إلى مكة ليؤسس البيت العتيق، وتركها محمد ﷺ طلبا لعز ومنعة، يَسْتَقْوِي بهما، لاسترجاع مكانة الكعبة. على أن إثم مفارقة الوطن المشرب حبه لكل قلب، إنما يتولاه المعاندون الذين يلجئون بني وطنهم إلى الهجرة، بأصناف ما يسومونهم من العذاب، قال الله سبحانه: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ (محمد: 13)، كأن القرية -وهي مكة هنا- هي التي أخرجت الرسول وأصحابه، وإنما أخرجه أهلها باجتماع كلمتهم على تكذيبه، وإذايته، وإلجائه وأصحابه إلى النزوح عن ديارهم، فاستحقوا الملامة والإثم والعقوبة، فلا ناصر لهم. وإنما تميل النفس إلى القعود لأنها لا تطيق تجشم فراق الوطن؛ ولا تحتمل مشاق الهجرة المادية والمعنوية، لكن الذي هونها في قلوب الرعيل الأول -رضوان الله عنهم- التفويض لأمر الله جل وعلا، والاستجابة لأمر رسوله ﷺ. ولذلك اختص المهاجرون الأولون بالسبق لمن بعدهم إلى قيام الساعة؛ سبقوا بالإيمان الذي هو رأس الفضائل، وتحملوا أنواعا من العذاب زماناً طويلاً، وصبروا على فراق العشيرة والوطن. ثم يتلوهم أهل النصرة، من المؤمنين الذين آووا من هاجر إليهم، فأسكنوهم ديارهم، وقسموا لهم من أموالهم.

> ألا وإن الأسعد بوسام الاحتفاء برسول الله ﷺ وتكريمه من داوم على امتثال أوامره، واستلهم مقاصد أقواله وأفعاله وتصرفاته، فاعتبر بحلمه الذي فاق حلم كل ذي حلم، وتدبر في شجاعته، وعدله، وعفته، وحيائه، وتوحيده، وتعبده، وحسن توكله، وسخائه، وتواضعه.

قال الله جل في علاه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾ (الأنفال: 72). فلما فتحت مكة، انقطعت الهجرة لظهور الدين، وبقيت النية الخالصة المدلول عليها بهجرة ما نهى الله عنه ورسوله، ومجاهدة النفس وأطرها على الحق لقوله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية»، وقوله: «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه» (رواه البخاري وأبو داود والنسائي عن ابن عمرو).

• **مفهوم الأمة مؤسس على قيمتي الأخوة والنصرة:** كما أظهرت الهجرة مكانة المهاجرين، وصدقهم وصبرهم، وحبهم للنبي والدين؛ في مفاخر دونتها كتب الحديث والسيرة -حتى إن المرء ليعجب لخفة عقول قادة قريش؛ كما شهد ابن الدغنة فقال لأبي بكر رضي الله عنه لما أراد الهجرة: "إن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج، إنك لتصل الرحم وتقري الضيف وتحمل الكل وتعين على نوائب الحق"، فذكر الأوصاف التي شهدت بها خديجة رضي الله عنها للرسول ﷺ لما رجع يرتجف من تجلي جبريل عليه السلام فإنها أبانت عن صدق إيمان الأنصار ومعدن النصرة فيهم، واستعدادهم لاحتضان الدين، وكفالة حملته، وحمايتهم، وهي صفات مطلوبة دوما فيما تلاقيه أمة الإسلام وتعانيه؛ من صنوف العذاب؛ حصارا كان، أو تضييقا، أو تهجيرا، ففي الحديث: «أمتي هذه أمة مرحومة، ليس عليها عذاب في الآخرة؛ عذابها في الدنيا الفتن والزلازل، والقتل» (سنن أبي داود - كتاب الفتن والملاحم)، فالحكمة النبوية تقضي بتوافر فقه إغاثي إنقاذي؛ يستلهم فيه المؤمنون قيم النصرة، ويحيون به ذكرى الأنصار. ولقد كان من مقتضيات هذا الفقه المنسوخة؛ أن تكون الهجرة أحد أسباب التوارث في الإسلام، في أبلغ برهان على قوة رابطة الأخوة، فكان المهاجر يرث من المهاجر، وإن كان أجنبيا عنه، ولا يرثه غير المهاجر، وإن كان من أقاربه، وكان النبي ﷺ يؤاخي بين كل اثنين من أصحابه، فكان ذلك سببا للتوارث، حتى نزل قول الله: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ (الأنفال:75). ولئن صار الغوث والإنقاذ اليوم إنسانيا كونيا، فإن على أهل الإسلام أن يكونوا فيه أقدر، ويحوزوا الحظ الأوفر، فإن الله تعالى قال: ﴿ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾ (النساء: 32). وإنه سبحانه يعطي على النصرة والغوث من النعم والمراتب الجليلة، كما يعطي أجر الهجرة على الانتقال عن ترك مأموراته، وفعل منهياته، وفي الحديث: «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه» (رواه البخاري وأبو داود والنسائي عن ابن عمرو).

البناء الدعوي في ممهدات الهجرة النبوية

د. الحسان حالي

لم تكن الهجرة النبوية حدثا عاديا جاء وفق سريان الزمن وانقضاء المدد، بل كان أمرا منضبطا لقواعد التخطيط والتهييء، وبذل الوسع في البناء الدعوي والبحث عن آفاق أرحب للدعوة الإسلامية.

ذلك أنه لما اشتد الأمر في البيئة القرشية بالتضييق على الدعوة وأهلها، وانسد أفق هذه الدعوة، ولم تعد البيئة منتجة ولا صالحة لامتداد الدعوة وانتشارها وتوسعها، بفعل الحصار والتضييق والترهيب والملاحقة...

وهذا ما جعل القصد النبوي يتجه لنقل الدعوة الى القبائل المجاورة لمكة، فكثرت تحركات النبي ﷺ جهة مضارب الأقوام ومنازلهم ومواسمهم و أسواقهم، يلتمس تبليغ دعوة الإسلام و نشرها بين الناس، رغم ما كان يلقاه من أذى وصدود وإعراض وتعريض. روى غير واحد من أصحاب الحديث والسيرة عن طارق المحاربي رضي الله عنه: "...رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز و لي بيَاعة أبيعها، فمر وعليه جبة حمراء وهو ينادي بأعلى صوته: «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»، ورجل يتبعه بالحجارة، وقد أدمى كعبيه وعرقوبيه، ويقول: يا أيها الناس لا تطيعوه فإنه كذاب. قلت من هذا؟ قالوا هذا غلام بني عبد المطلب. قلت فمن هذا الذي يتبعه فيرميه؟ قالوا: هذا عمه عبد العزى أبو لهب." (انظر البدر المنير لابن الملقن 680/1).

في حمأة هذه الظروف و الأحوال لم ينقطع النبي ﷺ عن القيام على أمر الدعوة، ولم يتوان في البحث عن مكان آمن يسند الدعوة ويوفر لها شرط الحرية لضمان نموها وتوسعها.

وما كان ذلك ليتحقق إلا بمزيد تحمل الأعباء، و مضاعفة الجهد، والصبر على البلاء، واستغلال كل ما يسعف في تحقيق المراد.

وفي هذا الصدد كان النبي ﷺ يستغل وفود الحجاج من قبائل العرب على موسم الحج بمكة ليعرض نفسه على الناس، وأصبح يلتمس منهم إيواءه ودعوته، بمعنى أنه صار يبحث عن مكان صالح لاحتضان الدعوة، قصد استنبات بذرتها في بيئة جديدة توفر حرية سريان الدعوة ونمائها.. جاء في أخبار السيرة: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في الموسم على الناس في الموقف يقول: «هل من رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشا منعوني أن أبلغ كلام ربي ﷻ»، فأتاه رجل من همذان فقال: أنا، قال: «وعند قومك لي منعة»؟ قال: آتيهم وأخبرهم و ألقاك من قابل، فانطلق وجاءت وفود الأنصار.(الحديث رواه أصحاب السنن والإمام أحمد وصححه الحاكم).

في هذه الأجواء لم تكن السبل لتنقطع أمام الحركة الدعوية النبوية، مع البحث الدؤوب عن المخرج من الضيق والشدة، لتنفتح أمام هذه الدعوة آفاق واسعة رحبة في بيئة محتضنة، هيأ الله فيها أسباب الإقبال والقبول. فما جاءت وفود الأنصار إلا بفعالية هذه الحركة المسترسلة المتتابعة الحلقات. ذلك أن رسول الله ﷺ دأب على عرض الدعوة على من يذهب لملاقاتهم من وفود حجاج بيت الله بمكة، فكان من أمر ذلك، في حج السنة الحادية عشر للبعثة، أن لحق نفرا من الخزرج فكلمهم وبسط لهم القول ودعاهم...

وملخص هذا الحدث -على ما جاء في كتب السيرة- أن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة ومعه أبوبكر وعلي رضي الله عنهما، فمر على منازل أقوام يكلمهم في الإسلام. الى أن صادف ستة نفر فلحقهم وكلمهم وسألهم ممن هم؟ فقالوا من الخزرج. فالتمس أن يكلمهم، فجلسوا إليه، وشرع يعرض عليهم دعوة الإسلام ويشرح حقيقته، ويدعوهم ويتلو عليهم آيات من القرآن. ثم أشار بعضهم الى بعض أنه النبي الذي تذكره اليهود و تتوعدكم به فلا تسبقنّكم إليه. انظر ما رواه طبراني عن ابن اسحاق، والحاكم والبيهقي.

لقد كان هذا اللقاء -على قصره منطلقا- لفتح مكان إيواء الدعوة و نصرة نبي الإسلام، وتوفير المنعة والنصرة اللازمة للقيام على البلاغ الدعوي في مواجهة المنع والتضييق، وتشديد الخناق وتعطيل سريان الدعوة، ومحاولة القضاء النهائي عليها والإجهاز على أهلها.

هذا وقد أضحى أمر طلب النصرة والمنعة ملحا ألجأت إلية الحاجة الماسة الى نقل بذرة الدعوة الى المكان الأنسب للإنبات والإزهار والإثمار... وهوما تحقق بتيسير الله ﷻ لبيئة جديدة مناسبة وهي بيئة يثرب. وكان من تيسير الله أن أسكن حَيّيْن من العرب، وهما الأوس والخزرج، يثرب، فجاورهما اليهود الذين كانوا يوالون قبيلة على حساب أخرى، ويأججون الصراعات فيما بينهما، ويذكرون خروج نبي لآخر الزمان، وأنهم سيسبقونهم اليه وأنهم سيقاتلونهم معه.

وكان هذا ما استقر في وجدان أفراد القبيلتين و سهل إقبال النفر الستة على سماع كلام رسول الله ﷺ، وإصغائهم لدعوته. فكانوا فاتحة خير على أهليهم و قبيلتهم ومدينتهم، بما تأملوه من خير هذه الدعوة، وأنها تكون سببا في جمع شمل القبيلتين المتصارعتين وتحقيق الألفة والوئام بينهما.

ولقد كانت مواعدتهم النبي عليه السلام اللقاء في عام قابل، فتحا عظيما لأفق ممتد أمام الدعوة، انفتحت فيه السبل لسريان هذه الدعوة بكل سلاسة وحيوية، وانتعش فيه الفعل الدعوي التربوي ليشكل قاعدة الانطلاق الجديد للبناء الدعوي العام.

فلما رجع هؤلاء الى قومهم بدأوا يذكرون الخبر لذويهم ومعارفهم وأهل صداقتهم، فبدأت تنتشر أخبار الدعوة وأنباء الإسلام. فلما دار العام وحل موعد الحج، خرج لموعد ملاقاة النبي ﷺ اثنا عشر رجلا من الأوس والخزرج، ولاقوا رسول الله ﷺ عند العقبة على الموعد، فخاطبهم وحدثهم واستوثق منهم، وأفضى الأمر الى عهد و بيعة. وهي بيعة العقبة الأولى التي تتفرد بميزتها ومكانتها في وضع الأسس واللبنات الأولى لإنشاء النواة السليمة التي تقوم عليها الدعوة والدولة معا.

روى البخاري بسنده عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «تعالوا بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، و لا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، و لا تأتون ببهتان تفترونه بين أيديكم و أرجلكم، و لا تعصوني في معروف، فمن وفى فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهوله كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله فأمره الى الله إن شاء عاقبه و إن شاء عفى عنه». (انظرصحيح البخاري كتاب الإيمان باب علامة الإيمان حب الانصار).

هذه مقالة النبي ﷺ، على وجازتها، تضمنت قواعد وبنود دستور مرحلي يهدف الى تأطير الحركة الدعوية لإخراج الأمة. وليس من العسير ملاحظة قيام هذه البيعة على بنود مهمة في البناء العقدي و التصحيح التصوري الذي يشكل الأساس الأول والأهم، ويكون محور الأمر كله. ثم تلت ذلك بنود تشريعية أخلاقية بانية، وهي مناداة أساس لبناء الشخصية المسلمة المتفردة بالرفعة في انضباط السلوك وسمو الأخلاق، مما لا يضيع معه هدف إنشاء الكيان الإسلامي في إطار من القيم الحضارية العليا.

ولعله لا تغيب عنا ظلال البند السادس من هذه البيعة، وهو ينطق بما سيكون من أمر هذه الأمة و كيانها، وفيه قوله ﷺ: «ولا تعصوني في معروف» فلا يفهم منطوقه إلا باعتبار ما سيكون لأن النبي ﷺ لا ينطق إلا بمعروف، فالإشارة هنا الى ما سيؤول اليه الأمر من قيام كيان و دولة قائمة على طاعة في المعروف.

ولعل هذا ما جاءت ببيعة العقبة الثانية للتنصيص عليه بكل وضوح، ذلك أن البناء بعد الإعداد يقتضي هذا في هذا الظرف المناسب. ففي هذه البيعة بسط رسول الله بنود البيعة فقال: «تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، و على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافوا لومة لائم، وعل أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة».

لقد كانت هذه البنود في هذه البيعة معربة عن منتهى ما وصل إليه الإعداد والتمهيد لاستئناف حركية دعوية قابلة للنمو و التوسع، واستيعاب المقبلين عليها والمنشرحين لها. مما أهل البيئة الجديدة (يثرب) لاستقبال المهاجرين بدينهم ودعوتهم، واحتضانهم تمهيدا لاستقبال نبي الإسلام محمد بن عبد الله ﷺ، ونصرته، حيث تم استكمال بناء دعوة الإسلام ودولة الإسلام، ومن ثم إخراج الأمة القائمة على الحق بالحق، الأمة الوسط الشاهدة على الناس بالناس. فلم يبق بعد ذلك إلا اقتفاء الاثر واتباع النهج القويم لمن أراد أن ينتفع وينفع. والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

لقد كانت بنود بيعة العقبة الثانية معربة عن منتهى ما وصل إليه الإعداد والتمهيد لاستئناف حركية دعوية قابلة للنمو و التوسع، واستيعاب المقبلين عليها والمنشرحين لها. مما أهل البيئة الجديدة (يثرب) لاستقبال المهاجرين بدينهم ودعوتهم، واحتضانهم تمهيدا لاستقبال نبي الإسلام محمد بن عبد الله ﷺ، ونصرته، حيث تم استكمال بناء دعوة الإسلام ودولة الإسلام، ومن ثم إخراج الأمة القائمة على الحق بالحق، الأمة الوسط الشاهدة على الناس بالناس.

دروس من الهجرة النبوية

لقد مكث النبي ﷺ بضع عشرة سنة بمكة وما حولها يدعو الناس إلى أصول الإيمان وعبادة الله، فآمن بدعوته من آمن وكفر من كفر، ولما ضاقت شعاب مكة به وبأصحابه، رأى أنه لا بد من البحث عن مكان جديد تنطلق منه الدعوة، فأذن الله له بالهجرة إلى المدينة، فكان هذا الحدث العظيم الذي غير وجه التاريخ، حافلا بالدروس والعبر التي ينبغي على كل مسلم الوقوف عندها والاستفادة من دروسها وعبرها.. وأقف في هذا المقال على اثنين منها، وهما:

الأول – ضرورة الجمع بين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله:

ويتجلى ذلك في حسن التخطيط الذي يفضي في الغالب إلى تحقيق النجاح، فقد استفرغ النبي ﷺ جهده وامتثل أمر ربه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (الأنفال: 60)، فاستبقى معه أبا بكر وعليا، ولم يهاجرا إلى المدينة مع المسلمين، فعليّ رضي الله عنه كلفه رسول الله ﷺ بالمبيت في فراشه، وأبو بكر رضي الله عنه صحبه في الرحلة وقال له: "لا تعجل؛ لعل الله يجعل لك صاحبا"(1).

واستعان بعبد الله بن أريقط الليثي وكان خبيراً ماهراً بالطريق، وواعده بعد ثلاثة أيام عند غار ثور ليدله على الطريق إلى المدينة.

وكان عبد الله بن أبي بكر يرعى غنيماته ويأتي بها إلى غار ثور فيشرب أبوه وصاحبه ﷺ من ألبانها حتى إذا كان السحر رجع إلى مكة، وفي ذلك تأمين للطعام والشراب، كما فيه تأمين لأخبار مكة وما يدور فيها.

وكتم أسرار مسيره إلا ممن لهم صلة به، ومع ذلك فلم يتوسع في إطلاعهم إلا بقدر العمل المنوط بهم، ومع أخذه بتلك الأسباب وغيرها لم يكن ملتفتا إليها بل كان قلبه مطويا على التوكل على الله ﷻ.

وبعد استفراغ الوسع وبذل الجهد في الأخذ بالأسباب، تتدخل العناية الإلهية لحفظ أوليائه وصرف أعدائه عنهم ما داموا قد حفظوه، وفي الحديث: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك»(2). فنلاحظ أن المشركين قد وصلوا إلى بيت الرسول ﷺ قبل الموعد الذي كان يظنه، ويرتب خطته على أساسه، والمطاردون وصلوا إلى باب غار ثور، وسراقة بن مالك استطاع أن يصل إلى النبي ﷺ وصاحبه..

ولكن الدرس هنا أن المؤمن إذا قام بما عليه وأخذ بما يستطيع من أسباب، فإن الله سيكمل له ما يحدث من نقص خارج عن إرادته؛ لذا أغشى الله عيون المشركين أمام بيت الرسول ﷺ فلم يروه وهو خارج، ولم يجعلهم يلقون نظرة واحدة داخل الغار حتى لا يروا حبيبه وصاحبه، فعن أبي بكر رضي الله عنه، قال: قلت للنبي ﷺ: وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما»(3). وأساخ أقدام فرس سراقة في الرمال وألقى الرعب في قلبه طالبا الأمان وعارضا الزاد والمساعدة وهو المطارد الطامع في الظفر بالجائزة القائل: "لما خرج رسول الله ﷺ من مكة مهاجرا إلى المدينة جعلت قريش لمن رده مائة ناقة.. وكنت أرجو أن أرده، فركبت على أثره.."(4)

فهذه أهم فائدة نستفيدها من الهجرة، وهي وجوب الأخذ بالأسباب البشرية مع التوكل على الله والاستعانة به في كل أمور حياتنا الفردية والجماعية للوصول إلى الأهداف وتحقيق الغايات.

فالآباء مطالبون بحسن تربية أبنائهم وتتبعهم في كل مراحل تنشئتهم، وبتحقيق كل حقوقهم الواجبة عليهم.. فعندئذ تبرأ ذممهم وإن قدر الله عدم صلاحهم بعد ذلك.

وطلبة العلم يلزمهم مذاكرة دروسهم والحرص على القيام بكل واجباتهم من حضور حلقات العلوم وسلك سبل التحصيل دون توان ولا فتور.. فهذه الأسباب وغيرها لن ينتج عنها إلا التفوق والنجاح، ولن يكون الامتحان إلا بابا إلى العز والفلاح..

أهم فائدة نستفيدها من الهجرة، هي وجوب الأخذ بالأسباب البشرية مع التوكل على الله والاستعانة به في كل أمور حياتنا الفردية والجماعية للوصول إلى الأهداف وتحقيق الغايات.

وكذلك التاجر والصانع والفلاح وغيرهم لا بد لهم من الأخذ بالأسباب المفضية إلى التفوق وتحسين المردود كل في ميدانه الذي يشتغل فيه، تأسيا بفعله ﷺ في كل حياته وفي هجرته..

هذا على المستوى الفردي، أما على المستوى الجماعي فينبغي على الأمة والقائمين عليها وعلى تسيير شؤونها؛ حسن التدبير وجودة التخطيط والسعي الدؤوب لامتلاك القوة العسكرية والاقتصادية، مع الريادة على المستوى الاجتماعي والسياسي والتربوي.. لاسترجاع الأمجاد وقيادة الأمم، لأننا خير أمة أخرجت للناس، وبذلك يتحقق موعود الله ﷻ: ﴿ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾ (النور: 55).

هذا هو المنهج السليم الذي ينبغي أن نسير عليه أفرادا وجماعات، منهج الأخذ بالأسباب ثم التوكل على الله، منهج رسول الله ﷺ الذي علمه للرجل الذي قال له: أرسل ناقتي وأتوكل؟ فقال له ﷺ: «اعقلها وتوكل»(5)، منهج الطير التي تغدو خماصا وتروح بطانا، كما في الحديث: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا»..(6)

والأخذ بالأسباب مع التوكل عليه يقتضي اليقين في الله والثقة في موعوده، والتسلح باليقين سبيل الثبات على المبدأ والاستمرار في بذل الجهد دون كلل ولا ملل..

الثاني – اليقين في الله تعالى والثقة بنصره:

وهذا يتجلى في تهدئته ﷺ لصاحبه رضي الله عنه وهما في الغار والعدو متربص بهما واقف عند فتحة الغار يراقب المكان، ولو نظر إلى أسفل قدميه لرآهما، فيحزن أبو بكر ويخاف على صاحبه.. لكن النبي ﷺ صاحب القلب المفعم باليقين في وعد الله بنصره والتمكين له وهزم عدوه ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ (القمر: 45)، يقول له: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»(7).

كما يتجلى يقينه ﷺ وهو في أخطر مرحلة من حياته وقد خرج متخفيا من عدوه، والصعاليك يطاردونه في كل مكان يحاولون رده إلى مكة للظفر بالجائزة، وأحدهم يستطيع الوصول قريبا منه، إنه سراقة بن مالك.. لكن عصمة الله لنبيه حالت بينه وبين النيل منه، فطلب الأمان واقترب من النبي ﷺ، وبيقينه الصادق في وعد الله بشر سراقة بنصر الله ووعده بسواري كسرى وأمر أبا بكر بأن يكتب له كتابا بذلك..

فمن الذي جعل النبي ﷺ، الفار بدينه، المهاجر في سبيله، المتخفي من أعدائه، يثق في نصر الله، ويخبر بظهور أمته على أعتى الأمم وأقوى الدول، أمة فارس ودولة كسرى؟؟!! إنه اليقين في الله الذي يجب على كل مسلم التسلح به لتجاوز المحن والحواجز، وقلبها إلى منح وجوائز.. فمهما طال الليل فلا بد من طلوع الفجر..

نعم إن الهجرة النبوية حدث حافل بالدروس والعبر ولو استقصيتها لطال الكلام ولكن حسبي هذان الدرسان وهاتان العبرتان ففيهما الكفاية.

---

1 – رواه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم:462.
2 – رواه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم:2669.
3 – رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حديث رقم:2381.
4 – انظر المعجم الكبير للطبراني، حديث رقم: 6603.
5 – صحيح ابن حبان في باب الورع والتوكل، حديث رقم:731.
6 – رواه الإمام أحمد في المسند، حديث رقم:205.
7 – رواه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم:11.

ذ. عبد الرفيع حجاري

الدقة والرقة في خطاب الدعاة

إن حاجة الناس إلى الخطاب الموجه والمرشد حاجة فطرية، والحرص على أن يكون الخطاب الشرعي غاية ما يمكن أن يلبي هذه الفطرة ويشبعها ويحفظها، ويقوم ما قد يلحقها من تشوه ناتج عن تأثيرات اجتماعية أسرية وبيئية، محلية ووطنية وعالمية، هو مما ينبغي أن يعنى به الدعاة إلى الله خطباء ووعاظا، علماء وفقهاء، مربين وأساتذة، كل في ميدان عمله، وساحة توجيهه ودعوته، وإن من الأمور التي يلزم الانتباه والتنبه لها، مراعاة التوازن في هذا الخطاب، فلا يغلب جانبا ويغفل جانبا، ولا يهول أمرا ويهون آخر، وهذا من نافلة القول، ولولا الأمر الرباني بالتذكير ما كان لهذا الحديث من داع ولا تبرير.

الموازنة بين الدقة والرقة؛ وأعني بذلك دقة الخطاب الإسلامي الشرعي الدعوي ورقته، فيراعي في القضايا المطروقة موضوعا للوعظ والحديث، والخطبة والتحديث، تأصيل المسائل فيها، وإقامة الحجج والدلائل عليها، والاستدلال لها بما ثبت من نصوص الشرع القاطعة الفاصلة، فلا يبقى الوعظ والإرشاد مجرد دعوى ليس عليها من الله حجة ولا برهان، وربنا سبحانه يقول: ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ (النمل: 64) ويقول جل جلاله: ﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا﴾ (الأنعام: 148) فصار الاستشهاد والاستدلال رونق الخطاب وزينة المقال، لا غنى للداعية عنه، إذ لكلام المولى جل جلاله ولحديث المصطفى ﷺ من وقع الأثر وعظيم الخطر ما يعلمه أهل اللسان ممن فقهوا لغة خطاب القرآن. فلو أنزل هذا القرآن على جبل لخشع، فكيف إذا خوطب به من لربه ركع وسجد وخضع. وإنما أوتينا من جهة تقصير المخاطِب – بكسر الطاء – عن بلوغ قلب المخاطَب – بفتح الطاء –، فإفلاسه من العلم الشرعي كارثة معرفية وعثرة علمية، تعوق بلوغ خطابه إلى أفئدة وأوعية مخاطبيه، وتسوق كلماته إلى التردي عن مستوى ما يعالجه من قضايا ومشكلات، ويطرحه من مسائل ومعضلات. فلا مفر والحياة حبلى بشبهات وإشكالات، وطعون واتهامات، من تسلح الداعية بسلاح العلم الأصيل لتحقيق الدعاوى ودحض الأباطيل ورد الأغلوطات مما قد يثار في ساحة الناس وواقع حياتهم. فالدقة العلمية ضرورة في العصر ملحة، تنم عن فقه زكي، وفهم ذكي، كفيل بإنارة الأفهام وإضاءة الأذهان بحقائق ما قد تعج به أدمغة الناس من صخب وسائل الإعلام ومقاطع الشبكات العنكبوتية بائعة الأوهام، والتي صارت للأسف الشديد المعلم والمرشد لمختلف الفئات العمرية والطبقات الثقافية والمعرفية.

وحتى لا يغوص الخطاب في دقائق الأصول، ومناهج الاستدلال والأصول، فيحيد عن مقصد التزكية ومعنى التحلية وغاية التربية، كان لا بد من أن يعدل الداعية كفة ميزان العلم بكفة ميزان التزكية؛ فيكسو خطابه بروح قرآنية ورقة إيمانية، يقرن فيها الأحكام بحِكَمها، والأوامر بغاياتها، والمسائل بعللها، ويستحضر المآل، ويعتبر بخاتمة الحال، فيرغب ويرهب، ويحبب ويرعب؛ بعبارات لم يخل منها كتاب الله، ولم تعر عنها أحاديث رسول الله ﷺ، عبارات تشق طريقها إلى المشاعر والأحاسيس فتبلغ المضغة التي بها صلاح الجوارح والأركان، واستقامة الأعضاء واللسان.

إن خطاب الدعاة والمربين أحوج ما يكون إلى المزاوجة بين التفهيم والتزكية، والجمع بين المعرفة والتربية، وأن يقرن بين الدقة العلمية والرقة الوعظية لتسكن العقول الحائرة المشتبهة، وتهدأ النفوس الراغبة المشتهية، وهذا مقصد البعثة، وغاية الرسالة والنبوة، قال ربنا في محكم كتابه: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (الجمعة: 2).

ذ. معزوز عبد الحق

العلوم الإسلامية وأثرها في التعليم الجامعي

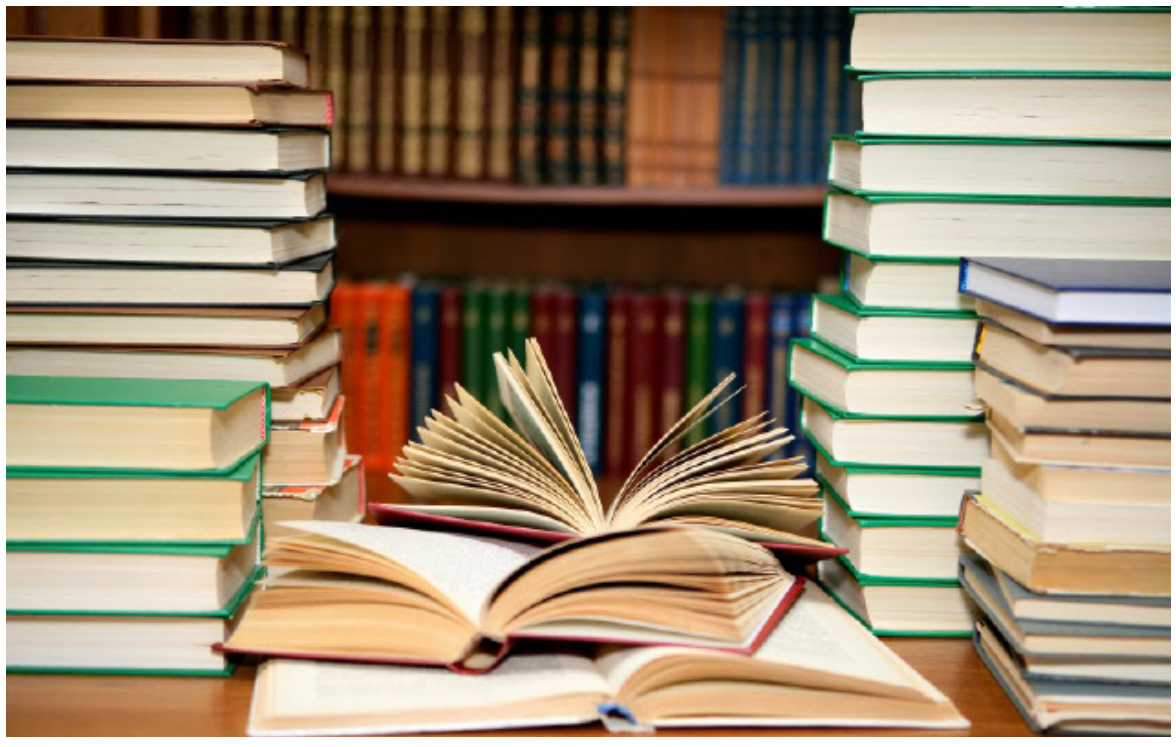

تعتبر العلوم الإسلامية عملا فكريا وعقليا لاستمداد الهدى والرشاد النابعين من الوحي، وظلت عبر تاريخ المسلمين من أهم آليات بناء المجتمع وحفظ أصوله المعرفية وأسسها المنهجية وقيم الأمة التربوية والمجتمعية عامة. فالعلوم الإسلامية تهتم بشكل عام بدراسة الإسلام كتابا وسنة والتعريف به في شموليته باعتباره دينا ونظام حياة سوية. كما تؤسس لقواعد فكرية وحضارية وعلمية وقيمية واعية، وينصب اهتمامها الخاص على التكوين والتثقيف والبحث العلمي ومواكبة قضايا الواقع المتجدد فهما وتجديدا وتطويرا لسبل البحث ومناهج التأطير الفكريين.

وسنركز اهتمامنا هاهنا على بعض القضايا الأساسية التي تفرضها طبيعة الدراسة التي نحن بصددها كالتكوين والبحث والتثقيف.

التكوين:

ففي هذا المجال ينبغي أن يكون الأثر الإسلامي حاضرا في سائر المراجع التعليمية ومختلف الأسلاك وشعب التعليم بدءا من الروض والأولي وانتهاء بالثانوي والتعليم العالي..، والعمل على مراعاة الانسجام والتكامل بين المواد الإسلامية والمواد الدراسية الأخرى، وبقاء التعليم العالي بمختلف شعبه وتخصصاته مصطبغا بثقافة إسلامية تتلاءم مع نوع التخصص(1)، وقد يكون من المطلوب أيضا أسلمة بعض العلوم المعاصرة والمناهج والبرامج المتعلقة بهذا الشأن حتى تتوافق مع الذات الحضارية الإسلامية وخصوصية الأمة. ومما ينبغي مراعاته في التكوين الإسلامي فضلا على كل ما سبق الاهتمام بالأطر والمؤسسات والمعاهد المنوط بها ذلك، حتى تقوم بوظيفتها على أتم وجه، دون إهمال تحفيز المكوَّنين وربطهم بالواقع العلمي ومقتضيات البحث المتطورة.

بالإضافة إلى تكوين باحثين في مجالات الفكر الإسلامي لتجديده وجعله يشارك بمواقف مشرفة في التطورات الفكرية وتوضيح الرؤية الإسلامية حول المستجدات المعاصرة من عولمة وتنمية وبيئة وأمن اجتماعي وحقوق المرأة والطفل والأجير.. وغيرهم، وتوجيه اهتمام الباحثين في الحقل المعرفي إلى تصحيح مناهج البناء والتأهيل لرفع مستوى التكوين لدى أبناء الأمة.

التثقيف:

وفي هذا المجال:

- يتعين الحفاظ على القيم الروحية والتقاليد الاجتماعية التي لا تتنافى مع المقومات الإسلامية، وهي التي بمثابة تحصين للمجتمع من الزيغ والانحراف.(2) ومن بين هذه التقاليد المغربية المتأصلة والهامة، التعلق بالقرآن الكريم وتحفيظه للناس بطرق ترغبهم فيه تحسين وتلاوته وتجويده وترجمته للغات العام لنشره وتبليغه والعمل به وعلى ضوئه، لقوله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ (المائدة: 49). فالتعامل مع الغير جائز بهذا النص وبعموم الشريعة بشرط تفادي إتباع الأهواء أو الافتتان عن الوحي جملة أو مناقضته.

وكذلك من التقاليد الحميدة التي ينبغي الاحتفاظ بها في ثقافتنا المغربية الاهتمام بسنة الرسول ﷺ وسيرته، تعلما وتعليما وتربية وتوجيها وذبا واستمدادا وامتدادا، إذ تمثل سنة النبي مجالا خصبا ونموذجيا للمفكرين والمثقفين في التعاطي مع الحياة، بمكوناتها المختلفة، إذ كان ﷺ الإمام الأعظم ،وقائد الجيش، والمسير للدولة في علاقتها الداخلية والخارجية، والمربي(3)، والباني لاقتصاد البلاد وغير ذلك من المهام، التي لا ينبغي إغفالها عند التعامل مع سنته باعتباره ﷺ، شخصية متكاملة ومتوازنة وواقعية، لقوله تعال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: 65).

- العمل على نشر الثقافة الإسلامية بشقيها الديني والمدني وبمنهجيتها التربوية بهدف تحصين المجتمع من التنكر لها ومن المد الثقافي والحضاري الذي يتسبب في تشويهها وتعتيمها(4) ولعل من أهم أسباب النفور التي تعاني منها الشخصية المسلمة اليوم تجاه ثقافة عصرها عامة والإسلامية خاصة عدم إيلائها الاهتمام اللائق من قبل بعض المفكرين أو عرضها عرضا لا يناسب تطلعات الناشئة.

- الحفاظ على التوازن بين الهوية وخصوصياتها الروحية والحضارية المتميزة وبين متطلبات التنمية ومواكبة العصر. وفي هذا الصدد يقول مصطفى بن يخلف أحد المتخصصين في الحقل التربوي: "إن من أسباب فشل التعليم في المغرب هو عدم تحديد اختيار حقيقي للهوية والشخصية المغربية التي نريد داخل الحضارة العربية الإسلامية".(5) وهذا يبين لنا أهمية مراعاة الهوية وعدم التهاون فيها في المجال الثقافي تحقيقا وتوجيها.

فالثقافة الإسلامية بطبيعتها متعددة المشارب متكاملة الموضوعات فهي غنية من حيث الزخم الفكري والعلمي والحرية المسئولة عند التعامل مع العقل في إطار الشرع بلا إفراط ولا تفريط، كما أنها تنأى عن الانطوائية والانغلاق والتسيب والانفلات.

وإذا كانت الثقافة بمفهومها الواسع إنتاجا فكريا معرفيا أكثر حرية في التعامل مع النصوص الشرعية؛ فإن العلوم الإسلامية تعد الأصول المؤطرة للبحث العلمي الأكثر ارتباطا بالمرجعية الأساسية التي منها تنبثق تلك العلوم ممثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية، لذلك تكتسي الصبغة العلمية الدقيقة التي تراعي ميزان الوحي ودقته وصحته التي توافق ميزان العقل والنظر الصريحين، ولذلك يمكن القول بأن العلوم الإسلامية لا تنهض حجتها وقوتها إلا مع التخصص في الارتباط بالأصول الشرعية التي تمثل الثابت والأساس الذي يجب أن يحفظ خصوصية الأمة واستقلاليتها من الذوبان، أما الفروع الفكرية فلا بأس من التساهل فيها بلا إخلال أو إسفاف.

- البحث العلمي:

في هذا المجال تسعى العلوم الإسلامية إلى:

- الحفاظ على باب الاجتهاد مفتوحا أمام أهل النظر الصحيح بضوابطه العقلية وقواعده الإيمانية، معتمدة في ذلك أصول الشريعة ومقاصدها، آخذة بعين الاعتبار التطورات والأعراف والظروف المتجددة، ومراعيةما صح وصلح من الاجتهادات السابقة والاستفادة منها.

- تكوين أطر علمية تستطيع التوفيق بين مقتضيات العصر وروح الشريعة وضرورة تقدم المجتمع ونمائه برؤية إسلامية، وتكون قادرة على التفاعل مع المستجدات دون تأثير أو تأثر خارجين.

- الحفاظ على مظاهر الحضارة المغربية وعلى سلامة المجتمع المغربي من التشويه أو الاستلاب خاصة، والعالم الإسلامي عموما.(6)

- مواصلة الإنتاج العلمي والفقهي للارتباط بالتراث والاعتماد على الاجتهاد في التحديث والإبداع بالوسائل والآليات الحديثة لأن الفقه لا يجد سندا حقيقيا في العلوم الحقة الإسلامية اليوم، وهذا يقتضي موقفا من هيئة كبار العلماء للتنسيق بينهما.

- المشاركة في البحث العلمي المتعلق بالعلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم التطبيقية التي تنعكس بعض نتائجها على المجال الشرعي وذلك انطلاقا من المنظور الإسلامي النابع من مقاصد الشريعة المبنية على قواعدها ومقوماتها ومن مصدريها الرئيسيين القرآن والسنة.(7)

فالعلوم الإسلامية باعتمادها المقومات الإسلامية تستطيع أن تسهم مساهمة فعالة في تحصين المجتمع الإسلامي وتحافظ على هويته وتلقيحه بالأخلاق الحسنة، وتسهم في بناء آليات جديدة ومتطورة أيضا في تجديدالمجال الثقافي وتفعيله، ولا يتم ذلك إلا بتنمية الروح الدينية والوطنية، وهي وحدها الكفيلة بتحقيق تلكم الأهداف. قال أبو الحسن الندوي في هذا الصدد: "قيمة البلد ليست بكثرة الجامعات والمعاهد، بل القيمة في كثرة أبنائه الذين يقفون حياتهم للبحث والدراسة ونشر العلم والثقافة وتثقيف الشعب"(8)، فالإسلام دين ودستور للحياة الفردية والجماعية بشموليته في التصور والنظر، وبواقعية في التدبير والتنفيذ، وبحكمته في رعاية الأولويات والتكيف مع كل الظروف مهما تعقدت.

---

1 – الدراسات الإسلامية بين الحاضر وآفاق المستقبل: محمد بلبشير الحسني، المعارف الجديدة الرباط ، 1424ه/2003م. ص: 25 بتصرف.

2 – نفس المرجع، ص: 26 بتصرف.

3 – منهج التربية الإسلامية: محمد قطب، دار الشروق للنشر ، الطبعة 16 .ج2 ص254.

4 – الدراسات الإسلامية ، محمد بلبشير الحسني، ص: 26.

5 – ما مدى التزام التعليم في المغرب بالهوية الحضارية: سمان علال، الطبعة الأولى فبراير 2010، ص: 88.

6 – الدراسات الإسلامية ، محمد بلبشير الحسيني، ص: 28بتصرف.

7 – نفس المرجع، ص: 47.

8 – مجلة الأمة ، مقال بعنوان: " المنهج ووظيفة الجامعات الإسلامية" د.عباس محجوب، العدد 60، السنة الخامسة ، ذو الحجة 1405هـ/ اغسطس1985م. ص11 بتصرف.

الباحثة: نادية حمالي

اللغة العربية لغة القرآن الكريم: مباني ومعاني

2 - أصالة الحرف في بناء دلالة الكلمة (8)

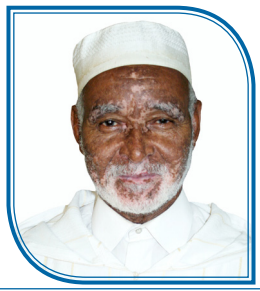

د . الحسين كنوان

سنحاول في هذه الحلقة أن نربط بين مفهومي المباني والمعاني، فالمباني أشكال مجردة، والمعاني مضامين تلك الأشكال. فكيف يمكن أن نجمع بين المفهومين في حروف اللغة العربية؟ يقول سيبويه في تعريف حروف اللغة العربية: "هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها، ومهموسها ومجهورها واختلافها..." (ك4/ 431).

يلاحظ بخصوص الكلمات التي استعملها سيبويه لصياغة عنوان هذا الباب أنها تحمل دلالات توحي بمفاهيم هامة يجب الوقوف عندها لتأملها لأنها ترمز إلى السمات التي تتسم بها الحروف باعتبارها أس البيان في اللغة العربية. فكلمة "أصل" تدل على أن ثمة فروعا أو أكثر. وكلمة " مخارج "بصيغة جمع الكثرة تدل على أن لكل حرف مخرجه الذي يختص به في جهاز النطق عند الإنسان.

وهذا ما ترتبت عنه سمات منها الهمس والجهر التي هي أس الاختلاف في النطق المعبر عنه صراحة بكلمة، وهذا ما يدل على أن مادة الحروف في اللغة العربية مادة خام قابلة للتحليل باعتبارات متنوعة فهي أس الكلام قبل غيرها من أدوات البيان، يقول الخليل: "بدأنا في مؤلفنا هذا بالعين وهو أقصى الحروف، ونضم إليه ما بعده حتى تستوعب كلام العرب الواضح والغريب" (ع1/ 60). ويقول القرطبي في كتابه (الرعاية في تجويد القراءة): "باب معرفة الحروف التي يتألف منها الكلام وعللها: فالحروف التي يتألف منها الكلام تسعة وعشرون حرفا... وإنما سمي كل واحد من هذه التسعة والعشرين حرفا على اختلاف ألفاظها، لأنه طرف للكلم كلها، طرف في أولها، وطرف في آخرها، وطرف كل شيء حرفه من أوله ومن آخره، ولذلك كان أقل أصول عدد حروف الأسماء و الأفعال ثلاثة: طرفان ووسط... وطرفا الشيء جداه من أوله وآخره ، ومنها قوله تعالى: ﴿أقم الصلاة طرفي النهار...﴾ (هود: 114)، أي أوله وآخره ("الرعاية لتجويد القراءة" ص 192 بتصرف) .

يلاحظ من خلال النصين المستشهد بهما أن الحروف أس البيان في اللغة العربية بدليل قول الخليل: "حتى تستوعب كلام العرب الواضح والغريب".

أما بخصوص الفقرات التي اقتبسناها من كتاب الرعاية فإنها تتضمن عبارات تحدد أهمية الحرف في نظام قواعد اللغة العربية فهي أس الكلام كما في قوله: معرفة الحروف التي تألف منها الكلام" والإشارة إلى اختلاف وظائف الحروف في سياق تعليل التسمية التي تعتبر منطلق المصطلحات كما في قوله: "وإنما سمي كل واحد من هذه التسعة والعشرين حرفا على اختلاف ألفاظها لأنه طرف للكلم كلها"، وبين مواقع الحروف في الكلمة بقوله: "طرف في أولها، وطرف في آخرها".

وهذه إشارة هامة لورود الأحرف في مواقع الكلمة الثلاثة: الأول، والوسط، والأخير، وهذا ما يؤسس للدوائر الثلاث التي تتألف منها بنية الكلمة التي يترتب عنها المعنى الخاص لكل كلمة. ذلك أننا نرى أن كل مجموعة من الكلمات الثلاثية تتحد في معنى عام بنسبة ما، ثم تختص كل واحدة منها بمعناها المنفرد. ذلك أن عددا من الكلمات الثلاثية تتفق في الحرفين الأولين، وتختلف فقط في الحرف الأخير مثل: قطع، وقطف، وقطم، وقطن. ونوع ثان يتفق في الحرفين الأخيرين، ويكون اختلافهما في الحرف الأول فقط مثل: قطن، وفطن، وبطن، ورطن، ووطن. ونوع ثالث من الكلمات يتفق في الحرفين الأول والأخير ولا يميز بينهما إلا الحرف الوسط مثل: وقف، وورف، ووصف، ووظف.

فالملاحظ في كل مجموعة من هذه الكلمات التي تتفق في حرفين أن الحرف المحور الذي يفصل بين دلالاتها هو الحرف الذي تختلف فيه، إنه أي الحرف المحور بنية الكلمة التي توجه دلالتها إلى معنى دون سواه، إلى معنى دون سواه، هذا بالإضافة إلى أن حرف المبنى المجرد يمكن ان يرتب في أحوال خاصة ضمن أنواع الكلم الثلاثة يقول سيبويه: "هذا باب عدة ما يكون عليه الكلم: وأقل ما تكون عليه الكلمة حرف واحد" (ك 4/216).

ومعاجم اللغة غنية بمادة الدوائر الثلاث المشار إليها من ذلك على سبيل المثال لا الحصر: "ب ج ز" و" ب ج س" و"بجش" و"بجص" و"بحض" و"بجم..الخ" (الجمهرة1/209).

وهجأ، وهدأ، وهذأ، وهرأ، وهمأ، وهنأ،.. الخ (ل ع 1/179)...

وأبت، وأبث، وأبد، وأبر، وأبز، وأبس، ...الخ (مقايس اللغة 1/33).

ودون أن نطيل في عرض أمثلة كل دائرة من بين الدوائر الثلاثة، فالمعاجم غنية بهذه المادة؛ لكن الغريب أنه ليس ثمة -حسب علمنا- انتباه لتوظيف دلالة الحرفين اللذين تتحد فيهما مجموعة من الكلمات لمعنى مّا ولا التركيز على دلالة الحرف المحور الذي تختلف فيه الكلمات المتحدة في الحرفين سواه، في حالة معالجة إشكال ما.

وبعد هذه الأمثلة نعود إلى عنوان كتاب الرعاية لأجل تأمل دلالات كلماته فيما يخص اعتبار أحرف المباني أس البيان في نظام اللغة العربية، وهذا العنوان هو: "الرعاية لتجويد القراءة، وتحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها".

والملاحظ ان هذه العنوان يتضمن ثلاث كلمات بصيغة واحدة، هي الرعاية، والقراءة، والتلاوة، فهي كلها على وزن فِعَالة، وفي الدلالة العامة لما جاء على هذا الوزن من الكلمات يقول سيبويه: "وأما الوكالة، والوِصاية، والجِراية ونحوهن فإنما شبهن بالولاية لأن معناهن القيام بالشيء، وعليه الخِلَافة، والإمارة، والنِكاية، والعِرافة، وإنما أردت أن تُخْبِرَ بالولاية، ومن ذلك الإيالة، والعياسة، والسياسة..." (ك 4/11).

انطلاقا من دلالات الكلمات الواردة في النص أعلاه يمكن القول بأن الكلمات الثلاث التي يتضمنها عنوان كتاب القرطبي: تشترك في مفهوم عام بصيغتها الوحيدة هو القيام بالشيء كما هو واضح فيما استشهدنا به من الكلمات التي يتضمنها سيبويه، وهذا الشيء الذي يلزم القرطبي نفسه القيام به أنواع ثلاثة، لأن كل كلمة تختص بدلالة أحرفها الخاصة على شيء معين، فأحرف الرعاية، غير أحرف القراءة، وهما معا غير "التلاوة" فعلى الرغم من اتفاق الكلمات الثلاث في دلالة الوزن "فعالة" الذي له دلالة عامة التي تجمع بين كل الكلمات المصوغة على هذا الوزن فإنّ كل كلمة تدل بأحرفها على معنى خاص بها. وعليه نستنتج من وصفنا لهذه الكلمات بما بينها من اتحاد (في الصيغة) وفروق (في الحروف) أمرين اثنين:

أولهما أن تنوع الكلمات واختلاف دلالاتها يتم بناء على اختلاف أحرفها وهذا ما يثبت تأثير الحرف في بنية الكلمة.

وثانيهما أن الكلام لا يتلفظ به عبثا وجزافا، وإنما له علاقة بإرادة المتكلم وقصده وهذا ما يلزم به "القرطبي" نفسه بقوله في عنوان كتابه هذا وهو قوله: "..تحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها".

فالهدف هو "تحقيق لفظ التلاوة" والوسيلة هي "بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها".

يتبع

حياة القارئ بروح الوحي والإيمان أجلُّ وأعمقُ معنى

هناك فرق شاسع بين الذين يستيقظون من نومهم وهم متلهفون لنصال الشموس وبين الذين يغرقون في نومهم جزعا من نصال الشموس، بين أولئك الذين لا يرون الكرى في أعينهم حتى تجد مهجتهم قد أترعت أملا وطموحا إلى الغد المنتظر وبين الذين لا يكاد يقلهم قطار النوم حتى يلجمهم سخط العناء والصبر، بين أولئك الذين يستديرون إلى الماضي فيبتهجون ويهمون إلى المستقبل البعيد القريب مخلصين العزم وبين الذين ينظرون إلى ما وراءهم بأبصار النادمين ويترنحون بين عاديات الحاضر وماتي الدهر تائهين وبين الذين يقرؤو ن بعيون الوحي وهدايات الله تعالى وبين الذين يقرؤون يعيون الأهواء في سحب من أمواج الغرائز.

إنها لعمري تلك الفوارق لهي الفواصل بين الذين يقرؤون والذين لا يقرؤون. والمراتب بين الذين يقرؤون وهم مهتدون وبين الذين يقرؤون بغير هدى، فالقارئ تتسع في عينيه تلك الفوارق مع كل كتاب يقرؤه، أما الإنسان العادي فلا يجد فرقا يميز القارئ عنه، والقارئ الذي يقرأ مهتديا بالوحي وهداه المنهاجي يبصر الحقائق وراء مظاهر المكان وحجب الزمان ويمتد بصره في سنن الله تعالى في الآفاق والذي يقرأ مكتفيا بحدود قدراته يقف عند أبعاده المادية وحدوده الضيقة.

قد لا تبدو القراءة ضرورة لبقاء الأجساد وتعمير الهياكل والأشكال، لكنها بحق العنصر الأساس في دوام المعاني وخلد البواطن والمضامين. إذ القارئ هو الفرح بعامل والحزين بعامل، أما الذي لا يقرأ فتطفح أفراحه وتهيج أتراحه ببواعث الصدف وشفقتها، لأن القارئ ينتبه دوما لمعاني الفرح والحزن، أما الذي لا يقرأ فلا يرمق سوى الفرح والحزن. والقارئ يقدّر قيمة الزمن فيتَبيَّنُه قلب الحياة النابض الذي وجب عليه رعايته وعدم إهماله، أما الذي لا يقرأ فيقبّر قلب الحياة بإهماله ولامبالاته.

الإنسَان وُجِدَ فوق الثرى بفطرة الرحمن على المعرفة والبحث والتنقيب، وذلك في سبيل مقاصد سامية ترتقي بالإنسان من سفح الجهالة إلى قمة الدراية، وظل الكتاب منذ فجر البشرية منبعا يرتوي منه القارئون، وسيظل أبدا ذلك المنبع الزلال الذي لا يشبهه شيء مما انفجر في هذا الزمان من تيارات المقروء والمسموع. والقارئ يسعى دائما لمعرفة سر من أسرار كيانه وكونه، أما غيره فيكتفي بوجوده الساعي إلى الرفاهية والرخاء الطبيعيين ولا يتدبر آية من آيات الخلق ساعة. وأكثر ما يميز القارئ عن غيره وأبقى، هو ذاك الفارق الذي يجعل القارئ أدرى بإنسانيته أصلا ومقصدا وبوظيفته في العبادة لله والهداية للخير واكتشاف أسرار الحياة بنور الله تعالى.

أما ما يثير الأسف على أمة الإسلام اليوم، المخصوصة بالدين الخاتم والرسالة الإيمانية العلمية العملية، والمكلفة برسالة إنقاذ البشرية، وصاحبة الدستور القرآني القويم، الذي نزلت أول آية منه كلمة "اقرأ" كأمر ملح ونصح راشد، أن تحتاج لمن يخبّرُها شيئا عن قيمة القراءة حتى لا تقعد على السبيل الحضاري طالبة يد الهدى إلى أهميتها من الأمم الأخرى.

صحيح أن في القراءة تعبا، وأن في المعرفة تألما، وأن في حمل الحقائق عبءا ثقيلا، لكن يكفي الناظرين ابتسامة القارئين في تعبهم، وترنمهم في تألمهم، ونشاطهم في تحملهم، ونقاء فكرهم وهو يجوبون عوالم الأكوان مقدرين عظمة الله تعالى الخالق الرازق، ففي ذلك أصدق الدلائل على مدى حلاوة ثمرة القراءة، ومن طبائع التمور فتور ريحها، فمن لا يذوقها لا يتأتى له معرفة حلاوتها أبدا.

زكرياء أزنود

الأستاذة فوزية حجبي
صاحبة "من أوراق شاهدة" ترحل إلى دار البقاء

هل حقا ترجلت الأستاذة فوزية حجبي عن صهوة "أوراق شاهدة"؟ هل فعلا خبا نجمها البراق من سماء الإبداع؟ أحقا ولّى ظل "شجرة الخيرات"؟

بعد حياة علمية فريدة ومسيرة أدبية ودعوية مشهودة، انتقلت إلى عفو الله الكاتبة البارعة الروائية والقصاصة المغربية الأستاذة فوزية حجبي، فرحم الله الفقيدة وأسكنها فسيح جناته ورزق أهلها الصبر والسلوان، وفي هذه السطورة المعدودة والكلمات المقصودة، سنعرض للقارئ الكريم محطات بارزة في حياة الراحلة، إبرازا لمجهوداتها العلمية وإسهاماتها الأدبية والتربوية، وعصاميتها الفذة.

مسيرتها العلمية والمهنية:

في سنة 1983حصلت الفقيدة على شهادة الإجازة في العلوم السياسية [الشعبة الفرنسية]، وفي 1985 ولجت السنة الأولى في الدراسات العليا [علاقات دولية]، ثم واصلت نهمها العلمي حيث حصلت على الإجازة في الدراسات الإسلامية سنة 2007.

وكان للراحلة العديد من التجارب المهنية من أبرزها:

- الالتحاق للعمل بالصندوق الوطني للضمان الاجتماعي مصلحة الصحافة والترجمة 1983.
- وشغلت أيضا عضو اللجنة المغاربية المكلفة بإعداد الاتفاقية المغاربية للضمان الاجتماعي سنة 1992.
- وفي سنة 1995 تم تعيينها رئيسة مصلحة بالصندوق الوطني للضمان الاجتماعي مكلفة بالترجمة والكتابة.
- ثم تم تعيينها كرئيسة مصلحة مكلفة بالتواصل حتى تاريخ المغادرة الطوعية سنة 2002.
- وفي سنة 2004 عُيِّنت بظهير ملكي عضوا بالمجلس العلمي لولاية الدار البيضاء الكبرى مكلفة بملف محو الأمية وعضو تحرير مجلة التذكرة وجريدة التبصرة بالمجلس.
- فعضوا بالمجلس العلمي المحلي بعمالة مقاطعات سيدي البرنوصي سنة 2008.

بالإضافة إلى ذلك فقد شغلت الفقيدة عضوية في عدد من المنابر الأدبية خاصة النادي الأدبي للقصة القصيرة، وموقع أكاديمية القصة القصيرة، وموقع واتا للترجمة الدولية، وموقع شبكة الألوكة، وموقع الخيمة العربية، كما أنها كانت عضوا بموقع الشام، وعضوا بموقع ملتقى الأديبات.

آثارها العلمية:

كانت الفقيدة كاتبة غزيرة القلم والفكر وتركت تراثا صحفيا وأدبيا وتربويا مهما وجادا يفصح عن هموم برسالة أخلاقية توجيهية لا تخطئها العين:

1 – شجرة الخيرات: مجموعة قصصية للأطفال

2 – وسيم مسبح تاهيمي: قصة لليافعين

3 – نساء كحبات الأرز: مجموعة قصصية نسائية

4 – صلاح الدين صانع السيارات : قصة للأطفال قيد الطبع

5 – ديوان شعر كانت تستعد لنشره مستقبلا.

6 – هذا بالإضافة إلى برامج إذاعية وتلفزية بإذاعة الدار البيضاء وإذاعة محمد السادس والقناة التلفزية السادسة.

7 – مقالات متنوعة في المجال الصحافي في منابر صحفية وطنية متنوعة كالتجديد وجريدة العصر والمساء وغيرها، وقد عرفها القراء على صفحات جريدة المحجة لسنين طويلة كاتبة مواظبة ذات حس نقدي تربوي وتوجيهي للحياة الاجتماعية والسياسية والدعوية والفكرية ضمن عمودها "من أوراق شاهدة" حيث تجاوز رصيد مقالاتها مأتي مقال (200 مقال).

كما كان للفقيدة مشاركات في المهرجانات الأدبية والسياسية والدينية ودروس المساجد وقد كان التحاقها بالمجلس العلمي فرصة لأداء رسالة التوجيه والإرشاد بعلم وبصيرة وجد.

ويسجل هنا أنها كانت رسامة تشكيلية هاوية حيث تم عرض لوحاتها بالأنشطة الثقافية للمجالس العلمية لمدة ثلاث سنوات.

وقد تميزت الراحلة بأخلاق عالية في التواضع والأدب الجم وسعة الصدر والجد في العمل، وغادرتنا وهي تحمل بين جوانحها حرقة كبيرة وأملا عريضا وحبا وإخلاصا للوطن والأمة وأبنائهما كانت لا تفتأ تصرح وتدعو إليه بحالها ولسانها ومقالها.

وفاتها:

وافتها المنية صبيحة يوم الاثنين11 محرم 1439 هـ الموافق ل 2 أكتوبر 2017 م. بعد بالداء الخبيث. ووُري جثمانها التراب بعد أن صُلّي عليها صلاة الجنازة بعد صلاة الظهر بمسجد عقبة بن نافع بالحي المحمدي الدار البيضاء.

فرحم الله الفقيدة وأسكنها فسيح جنانه ورزق ذويها الصبر والاحتساب لله تعالى. وإنا لله وإنا إليه راجعون

تعزية

إنا لله وإنا إليه راجعون

بقلوب مؤمنة بقضاء الله وقدره وببالغ الحزن والأسى تلقينا نبأ وفاة الأستاذة فوزية حجبي صبيحة يوم الاثنين 10/2/2017.

وبوفاة صاحبة "من أوراق شاهدة" الأستاذة فوزية حجبي تكون جريدة المحجة قد فقدت واحدة من كتابها الوفيات.

وبهذه المناسبة الأليمة تتقدم أسرة جريدة المحجة بأحر التعازي وأصدقها إلى أسرة الفقيدة وأبنائها، وإلى كل محبيها وأصدقائها.

ونسأل الله تعالى أن يتغمدها بواسع رحمته وغفرانه، وأن يكرمها بعفوه ورضوانه، ويسكنها فسيح جنانه، ويرزق أهلها الصبر والاحتساب، وإنا لله وإنا إليه راجعون

ومضة

مراجعة... !

أفاقت على كابوس... شلت قدماها.. أخرستها الصدمة...
تتشابك الخيوط حولها... تمسك نفسها الحيرى بأول خيط...
توسلت إلى جيرانها أن تراجع ابنتهم مع ابنها...
هي تلميذة نجيبة في الثانوي.. وابنها في بداية مشواره الإعدادي...
تحسن مستواه الدراسي.. حصل على نتائج باهرة..
سرت الأم.. كافأت التلميذة بهدية رغم قلة ذات اليد...
توطدت علاقة الأسرتين الجارتين...
تكدح الأم والأب من أجل ابنهما.. يحلمان أن يكون ذا درجة علمية عالية، وبأن يشار إليه بالبنان في المستقبل...
تحاول أن تقاوم الخيوط المتشابكة حولها...
تقتحم جارتها البيت وهي تسحب ابنتها من شعرها.. ألقت بها إلى أب الطفل.. تتطاير الكلمات من فيها مع زبدها وعاصفة غضبها:
" ابنتي حامل من ابنك.. زوّجْها له.. ودعْها عندك !"
تخرس الصدمة الأسرتين..
ويولد طفل لطفل في الثالثة عشرة من عمره.. لأم في السادسة عشرة من عمرها...!
ويستغرق الآباء/ الأجداد الجدد في مراجعة عميقة...!

ذة. نبيلة عزوزي

مرئيات حول العولمة والنظام العالمي الجديد (2)

بقلم: أ.د. عماد الدين خليل

في هذا المقال أسعى لأن أقدّم لقطات عن العولمة وذيولها من الاستعمار الجديد، ونظريتي (صراع الحضارات) و (نهاية التاريخ) وهدفها الأساس من تشكيل حضارة المصنع والسوبر ماركت والكباريه... لقطات شبيهة إذا انضاف بعضها إلى بعض، بما يفعله كتاب المونتاج في الأعمال الدرامية والسينمائية، وتشكل في أذهاننا الأبعاد الحقيقية للعولمة في وضعها الراهن... وأقول في وضعها الراهن، إذ قد تتبدل المعادلات الدولية، وتخرج الشعوب المستضعفة من عنق الزجاجة الضيق، فيكون للعولمة شأن آخر... بكل تأكيد ...

عولمة من طرف واحد

أهي عولمة متكافئة تقف فيها الدول والأمم والجماعات والمؤسسات والشعوب على قدم سواء، فتتعامل مع المعطيات الجديدة تعامل الندّ للندّ في السياقات كافة: الاستراتيجية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية؟ أم هي الهيمنة المتفردة للقطب الواحد الذي يضع زعماء الدول الكبرى والصغرى، واقتصاديات العالم في جيبه، وتحت مظلته، وحيث يفرض على الدنيا نمطاً من الثقافة ينبض بعشق الأشياء ويتجرد من كل ما يمت بصلة للقيم الدينية والأخلاقية... والإنسانية في نهاية الأمر ؟!

أهي عولمة يدر فيها ضرع الأرض في أفواه الناس كافة، فيطعمهم ويسقيهم ويوزع عليهم خيراته بالعدل والقسطاس؟ أم هو الابتزاز الذي يحتكر الثروات فما يزيد الأغنياء والأقوياء إلا غنى وقوة، وما يزيد الفقراء والضعفاء إلا فقراً وضعفاً ؟

أهي عولمة تكافح بإخلاص لردم الخندق العميق بين دول الشمال ودول الجنوب، وتبذل جهدها لإلغاء الخط الفاصل الممتد بين طنجة وجاكرتا، لكي يلتقي الإنسان بالإنسان، وتلتحم الشعوب بالشعوب، ويعيش الجميع، وقد تحققوا بالضمانات الأساسية للحياة، سعداء، متحابين؟ أم هي الرغبة الجامحة لمراكز القوة والغنى في العالم، والتي تتمحور اليوم في أمريكا، ليس لإلغاء هذا الخط، أو التخفيف على الأقل من عمقه اللوني، وإنما لتأكيده وإقامة الجدران الشاهقة والأسلاك الشائكة بين العالمين فيما يمنح هذه المراكز، طبقاً لقناعات زعمائها، حماية أكثر فاعلية لتفوقها وديمومتها الحضارية، بغض النظر عن مدى ما تتسم به هذه القناعات من اثرة ولا أخلاقية ؟

إن العولمة لو أتيح لها أن تتحقق في عالم تحكمه قطبيات متوازنة، وتجد فيه الأمم الضعيفة فرصتها للصعود، لكان يمكن أن تصبح فرصة مدهشة لسعادة تعم الناس، وتبادل في الخبرات والمعطيات ينشر الخير والاستقرار على العالم أجمع، ويمضي بركاب القطار كافة صوب الأهداف التي يحلمون بها ويسعون من أجلها.

وأما أنها تجيء وقد أمسكت بخناق العالم قوة أو قيادة متفردة، وأن تكون هذه القيادة نموذجاً للرغبة الطاغية في التحكم والسلطان، بزعامة العالم، وفرض إرادتها على دوله وشعوبه كافة.

وأما أنها تجيء، وهذه القيادة المتفردة تمثل الحضارة الغربية في أقصى حالاتها مادية، ورغبة في التكاثر بالأشياء، وتعبداً لصنميات القوة، وبعداً عن منظومة القيم الخلقية والدينية، وتضحلاً روحياً، وغياباً لإنسانية الإنسان، وضياعاً لشروط الحق والعدل... فإنها ستغدو، وقد غدت فعلاً، سلاحاً جباراً مسلطاً على رؤوس الأمم والدول والشعوب، بل حتى الجماعات والمؤسسات، لإرغامها على الخضوع والخوف.

وها هم الآن يتسابقون على مدى قارات الدنيا كلها، ليس لإعلان ولائهم للست الكبيرة، والوقوف إلى جانبها ضد الإرهاب، وإنما لتسخير القدرات المخابراتية والأجهزة الأمنية لدولهم، من أجل حماية السيدة ورعاياها كافة من كل ما يسبب لها قلقاً أو خوفاً ...

إنه الولاء في أكثر حالاته تجلياً ووضوحاً...

وعلى وضع ثديها لكي يدر في فم السيدة المتفردة بالمصائر والمقدرات.

وأما أنها تجيء، ومؤسساتها ذات القدرات الأسطورية تزداد قوة وهيمنة، على هذه المصائر والمقدرات، بتجمعها الكارتلي المخيف، وإزاحتها للمؤسسات الأقل غنىً وقدرة.

وأما أنها تجيء، ومن وراء هذه المؤسسات العملاقة، المكر والجشع اليهودي، وسدنة العجل الذهبي من عباد المال اليهود.

فان لنا أن نتوقع ما الذي ستشهده الدنيا، عبر الزمن القريب القادم، إذا كانت إحدى بداياته على سبيل المثال لا الحصر، سحق التطلع الاقتصادي والمالي الشرق أقصوي، وتدمير طموحه الاستقلالي والتنموي، بمجرد ترحيلات سريعة في الأرصدة المالية، وضغط على أزرار الأجهزة الالكترونية قد لا يتجاوز الدقائق المعدودات !!

حراس (العهد الأمريكي) !

استطاعت الولايات المتحدة أخيراً أن توظف حكام العالم وتجعل منهم مديري أمن ومخابرات يعملون مصلحتها، ويقدمون لها الخدمات التي تمنح المواطن الأمريكي الإحساس بالأمن، وتبعد عنه شبح التوجس والإحساس بالأشياء، وأصيبت بثقل السمع وعمى الألوان.

وإذا كان هناك ثمة ما يسمى (بالجريمة الكاملة) التي يتقن فيها الفاعل عمله الجرمي بحيث لا يترك أي دليل على الاطلاق يسوقه إلى الإدانة... فان هؤلاء الحكام، وبمفهوم المخالفة، سينفذون جريمتهم الكاملة بحق شعوبهم، دون أن يعطوا لهذه الشعوب أية فرصة على الاطلاق لإدانتهم وتجريمهم، لا لأنهم يتقنون عملهم بأكثر الصيغ دقة وإحكاماً، وإنما لأن الشعوب نفسها فقدت الحاجات الأساسية في المأكل والملبس والمسكن والجنس.

لقد تنزلت الأديان كافة لمجابهة هذه الحالة ... لإعادة وضع الإنسان في مكانه الحق الذي أريد له يوم خلقه الله سبحانه وتعالى وكرّمه، ومنحه السيادة على العالمين ... لكن إغراءات التكاثر بالأشياء، والالتصاق بالأرض، والإخلاد إليها، والبحث عن ضمانات الإشباع الحسي الأساسية، كانت في معظم الأحيان، تجر الإنسان بعيداً عن موقعه، وتحوله شيئاً فشيئاً إلى آلة صماء تدور، أو سائمة تأكل وتشرب وتسافر وتنام! وحينذاك تصير المجتمعات البشرية أدوات طيعة بأيدي الذين يقودونها، وتختفي تماماً كلمة (لا) في مواجهة الرعاة والجزارين !

من هذه الثغرة التي كان ليوبولد فايس (محمد أسد) قد تحدث عنها يوماً وهو يسرد سيرته الذاتية في كتابه القيم (الطريق إلى مكة)، وحذر منها، وهو وزوجته (إلزا) يقفان مندهشين أمام سورة (التكاثر) في كتاب الله.

من هذا وذاك سيدخل الطواغيت الكبار والصغار لإحكام (التدجين) وإلغاء كل ما تبقى من خصائص إنسانية لدى المجتمعات والشعوب.

وحينذاك وببركات النموذج المادي الأمريكي، وعشق الضمانات والتكاثر بالأشياء، وإدارة الظهر كلية لمنظومة القيم الدينية والخلقية، سيسهل على حراس (العهد الأمريكي) أداء مهمتهم، وحماية السيدة من كل ما يقلق أبناءها المدللين، أو يستفزهم، من دوافع القلق وهواجس التوجس والخوف.

ولسوف تدخل أمريكة، يتقدمها حراسها المتربعون في مواقع السلطة، دورنا ومخادعنا... وسيمارس الإرهاب الأمني في أبشع صيغه، والقرصنة المزدولة في أكثر حالاتها قسوةً وعنفاً وانتهاكاً، وسيرصد نبض القلوب وخفقان العقول لكيلا تنبض وتخفق إلا بالتسبيح لأمريكة... وسيصير المفكر الذي يرفض الانحناء ويتردد في الاندماج مع القطيع (العالمي) متهماً يلاحق في كل مكان، وقد يصدر القرار بتجريمه واعتقاله، وربما تصفيته، حتى قبل أن تثبت إدانته بالأدلة القاطعة، لأن آليات الرصد الأمني قديرة إذا اقتضى الأمر على أن تقدم الأسباب !!

إن التكاثر بالأشياء، وغياب القيم الروحية والخلقية، بل الإنسانية، من حياة الناس، وفق النموذج الغربي الأمريكي، قتل لديهم أي تطلع صوب منظومة القيم، أو التزام بها، وجعلهم، بدرجة أو أخرى، أشبه بالسوائم التي تكدح في الليل والنهار، لكي تتحقق فقط بضمانات الحاجات الأساسية في المأكل والملبس والمسكن والجنس.

المغرب يقتني " دبابات " ومعدات حربية بقيمة 9 مليار درهم

بعد مفاوضات مطولة مع " الوكالة الأمريكية للتعاون الأمني الدفاعي " ،أفادت يومية "المساء" أن المغرب يستعد بشكل رسمي لاستلام 162 دبابة من نوع "أبرامز"، ستصل إلى البلاد عبر ميناء البيضاء على دفعات، بداية من سنة 2018 وإلى غاية 2019.

وأضافت ذات المصدر، أن موقع " الكونغرس الأمريكي "، أكد أن المغرب حصل على أسلحة ثقيلة، دفعة واحدة، تبلغ قيمتها حوالي 9 مليارات درهم ، مصحوبة بعدد من المعدات (آليات مراقبة، رادارات، رشاشات وذخائر وأنواع مختلفة من الأسلحة الخفيفة).

أردوغان: استفتاء كردستان العراق سيشعل أزمات خطيرة (عن قناة الجزيرة بتصرف)

قال الرئيس التركي رجب طيب أردوغان إن تركيا قادرة على مواجهة الأزمة التي تسبب بها استفتاء الانفصال في كردستان العراق، محذرا من أن الاستفتاء سيشعل أزمات خطيرة في المنطقة.

وحذر أردوغان من أن هذا الاستفتاء يستهدف وحدة شعوب المنطقة، وأنه سيتسبب في إشعال صراعات عرقية فيها، إضافة إلى الصراعات التي تعاني منها في الأصل.

وشدّد على أن بلاده سوف تتصدى لتلك الفتنة "التي يحاولون إشعالها في العراق تماما مثلما منعنا امتداد الحريق المشتعل في سوريا إلى بلادنا".

وعن رفع العلم الإسرائيلي في كردستان العراق، اعتبره أردوغان عودة التعاون الوثيق بين جهاز الموساد الإسرائيلي وبين المسؤولين في إدارة الإقليم.

سلاح المقاومة موجود لحماية الشعب الفلسطيني

قال موسى أبو مرزوق، عضو المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية "حماس ، إن حركته، لن تقبل بمناقشة قضية "سلاح جناحها العسكري"، خلال جلسات التفاوض مع حركة "فتح".

وذكر أبو مرزوق في حوار خاص مع وكالة الأناضول، إن هذه القضية، لم تطرح على طاولة مناقشات وفد الحركة مع المسؤولين المصريين، خلال الفترة الماضية.

وقال: "هذا الملف غير مطروح للنقاش، لا سابقا، ولا مستقبلا".

وأضاف: "سلاح المقاومة موجود لحماية الشعب الفلسطيني، ولا يعقل أن تلقي المقاومة الفلسطينية سلاحها ولازالت أرضها محتلة وشعبها مشرد".

الأطراف الليبية تقر مراجعة اتفاق الصخيرات

اتفقت لجنة الحوار الليبي المشكلة من مجلسي النواب والدولة المنعقدة في تونس تحت رعاية أممية على أن تكون هيكلة السلطة التنفيذية وصلاحياتها أولى قضايا الحوار السياسي المخصص لمراجعة اتفاق الصخيرات المبرم نهاية عام 2015.

ويتواصل الحوار ليومه الثالث، حيث تركزت المناقشات على دراسة مواد اتفاق الصخيرات التي تتعلق بهيكلة وصلاحيات المجلس الرئاسي وحكومة الوفاق.

يشار إلى أنه في 20 سبتمبر الجاري طرح سلامة في اجتماع بنيويورك على هامش أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة خطة عمل لتحقيق الاستقرار في ليبيا.

منظمات دولية: معظم نازحي الروهينغا بلا مأوى

حذرت منظمة أوكسفام من أن معظم نازحي الروهينغا إلى بنغلاديش ليس لديهم مأوى ملائم، في حين قررت حكومة ميانمار اليوم الخميس السماح للأمم المتحدة بإدخال مساعدات إنسانية إلى ولاية أراكان، وذلك بعد مناشدة منظمات إغاثة دولية السماح لها بذلك.

وقالت منظمة أوكسفام إن أكثر من 70% من حوالي 480 ألف شخص نزحوا إلى بنغلاديش خلال الأسابيع الماضية ليس لديهم مأوى ملائم، وإن نصفهم لا توجد لديهم مياه صالحة.

وأضافت في بيان حصلت الجزيرة نت على نسخة منه أن المحظوظ منهم تكون لديه بعض الأغطية البلاستيكية للاحتماء من الأمطار الغزيرة.

قطر: انسحابنا من مجلس التعاون غير وارد ولن نسلم القرضاوي

قال محمد بن عبد الرحمن آل ثاني، وزير الخارجية القطري، إن انسحاب بلاده من مجلس التعاون الخليجي أمر غير وارد، مؤكداً أن الدوحة ملتزمة بأمن الخليج.

جاء هذا في لقاء مع ممثلي صحف فرنسية، نشرته جريدة الشرق القطرية، الخميس، قال فيها إن بلاده لن تسلم الشيخ يوسف القرضاوي، رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، المطلوب لدى مصر، لكونه "مواطناً قطرياً وليس إرهابياً".

مؤسسة خاصة بسلا تدرس رواية فرنسية "معادية" للصحراء المغربية

أورد موقع هسبريس الإلكتروني أن أساتذة وأولياء آباء التلاميذ المسجلين في معهد اليقظة بمدينة سلا فوجئوا ببرمجة المؤسسة التعليمية الخاصة لرواية فرنسية تعتمد ضمن خرائطها المغرب مقسما إلى نصفين؛ وهو ما يمثل عدم اعتراف صاحب الرواية بمغربية الصحراء.

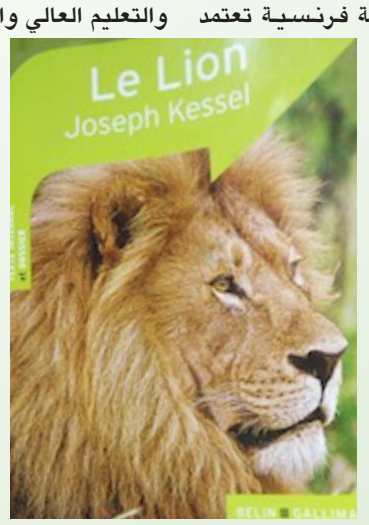

وأثارت البرمجة استياء عارما وسط أولياء وآباء تلاميذ السنة الأولى إعدادي والذين يستعدون لمراسلة وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي حول ما اعتبر فضيحة من العيار الثقيل، والتي تهدف إلى المس بثوابت المغرب ووحدته الترابية من خلال تلقين التلاميذ لروايات معادية.

وفي الوقت الذي تقتصر فيه الإجراءات المتخذة من لدن وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي فقط على إصدار مقرر بشأن اعتماد دفتر التحملات المتعلق بفتح أو توسيع أو إدخال أي تغيير على مؤسسات التعليم المدرسي الخصوصي، والذي يلزم مؤسسات التعليم المدرسي الخصوصي بإخبار الأسر بطبيعة الخدمات المقدمة واطلاعهم على تفاصيلها، استنكر العديد من الآباء غياب مراقبة الوزارة الوصية على طبيعة المناهج التي تلقن لأبنائهم.

المثقفون والسلطة: عود على بدء

لآلئ وأصداف

يلتقطها أ.د. الحسن الأمراني

رسخ الإسلام ـ تنظيرا وتطبيقا ـ حرية المعتقد، وحرية الرأي، وحرية النصح للحاكم، ولنا في مواقف عمر رضي الله عنه شواهد كثيرة بينة وناطقة، وعامة الناس يعرفون قولة عمر للمرأة التي اعترضت عليه في قضية تحديد الصداق، عندما قالت له: ليس لك هذا يا عمر، فإن الله تعالى يقول: ﴿وآتيتم إحداهن قنطارا﴾، فقال عمر: صدقت المرأة وأخطأ عمر.. أكلُّ الناس أفقهُ من عمر؟ والذين يريدون أن يجعلوا من حبس عمر الحطيئة على الشعر شاهدا على قمع الآراء وتكميم الأفواه، لا يفقهون حقيقة الخبر. فعمر لم يحبس الحطيئة لقوله شعرا حراما، بل لاعتدائه على أعراض المسلمين، وذلك باعتباره ولي أمر المسلمين، يدافع عن حقوقهم ويصونها من العابثين. وقد عرف الحطيئة ذلك فاعتذر لعمر بما يوحي أنه يقر بذنبه، ويطلب العفو، في أبيات رائية مشهورة. فلم يقبل منه عمر الاعتذار إلا بشرط واحد، وهو ألا يتعرض لأعراض المسلمين. فقال الحطيئة: إذن يموت عيالي جوعا. فاشترى منه عمر أعراض المسلمين بما كفاه عن التعرض لهم. والدليل على حرية الشعراء أن منهم من كان يتجاوز حدود الشرع، كأن يتغنى بالخمر، أو يتشبب بالحرائر دون تورية، فلم يكن يتعرض لهم أحد. وعندما كان يقام الحد على أبي محجن الثقفي، الفارس الشاعر، فلشربه الخمر لا للتغني بها. وبعد بلائه الحسن في القادسية قال له سعد بن أبي وقاص: اذهب فلن أقيم عليك حد الخمر بعد اليوم. فقال أبو محجن: وأنا والله لن أقرب الخمر بعد اليوم. وعندما تغنت امرأة قائلة:

هل من سبيل إلى خمر فاشربها

أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

وكان نصر هذا جميل الجمة، لم يعاقبها عمر على قولها، ولكنه قص جمة نصر التي كان يفتن بها النساء، صونا للحرائر.

وعندما تغنى سحيم عبد بني الحسحاس بنساء سادته، وكان عبدا حبشيا، حذره عمر من بطش رجال القبيلة، قائلا: إنك لمقتول. وفعلا ثأر الرجال للنساء وقتلوا الشاعر لاعتدائه على الحرمات، وليس عمر، باعتباره خليفة، هو الذي قتله.

وعلى هذا سار الخلفاء من بعد عمر، حتى إنّ بشارا كان يفسد الشباب بشعره، وكان مالك بن دينار يقول: أما لهذا الفاسق من يقتله؟ ولم يتعرض له أحد. وعندما قُتل بشار لم يُقتل لشعر قاله، بل لموقف سياسي مزجوه بالزندقة.

وأشعار أبي نواس أشهر من أن يستشهد بها، ويكفي أن كل تلك الأشعار وصلتنا كما هي ولم تتعرض للحرق ولا للإتلاف.

ومخطئ من يظن اليوم أن الدول الموصوفة بالمتحضرة تتمتع بحرية الرأي بغير رقيب. صحيح أن حرية الرأي عندهم لا تقاس بحرية الرأي عندنا، أو لنقل بعدم حرية الرأي عندنا، ولكن لها حدودا وقيما ومقدسات لا يجوز أن يتجاوزها أحد. وربما كان العالم العربي والإسلامي هو الذي يعبث فيه بحرية الرأي بما يرضي ولاة الأمر. فعندما يتعلق الأمر بالمواقف السياسية، فليس لأحد أن ينطق بما لا يرضون. وأما عندما يتعلق الأمر بقيم الأمة ومقوماته ووجودها ودينها، فهناك يخوض الخائضون، ويعبث العابثون، ولا من رقيب أو حسيب. ودونكم المنشورات، من كتب وصحف، فاقرؤوا فيها ما شئتم مما يهدم الأخلاق ويخرم الدين، وكل ذلك باسم حرية التعبير والمعتقد. وهيهات أن تجد شيئا من ذلك في الغرب، أعني أخلاقهم التي تراضوا عليها، واتفقوا. ولا شك أن الرأي العام عندهم ـ عموما ـ صار يسلم بكل ما نراه في تصوراتنا انحرافا وشذوذا، وصار المقلدون عندنا ينادون به جهرة. وحسبنا ما شهدته القاهرة مؤخرا من مهرجان علني للمثليين، باسم الفن والموسيقى، حتى إنه صار لهم علم خاص رفعوه في مدينة الأزهر الشريف.

في الاتحاد السوفييتي المنهار جعلوا رقيبا على الأدباء والمفكرين والفنانين، كان اسمه جدانوف، فكان لا يسمح بنشر شيء يمثل "تهديدا" لمبادئ الشيوعية، بل كان النظام لا يكتفي بذلك، وإنما يطارد أهل الفكر والأدب والفن، إما بالتشريد والنفي وإما بالسجن، وإما بالقتل. والقتل نوعان: إما أن يضيق على المنبوذ حتى يلجأ إلى الانتحار، مثلما حدث مع مايكوفسكي، وإما أن يطارد في بقاع الأرض ثم يقتل. ولعل مصير تروتسكي وروزا لوكسمبورغ خير مثل على ذلك. فأما المنفيون أو المحكوم عليهم بالصمت، فمن أشهرهم باسترناك وألكسندر سولجنسين.

وإذا كانت فضائح الاتحاد السوفياتي قد اشتهرت بسبب الإعلام الغربي بخاصة، فإن الغرب، ولاسيما أمريكا، لم تكن وسائل كبح المعارضين عندها أقل من روسيا، وربما تفوقت عليها في الأساليب الجهنمية. وكما كان لروسيا جدانوف، كان لأمريكا جلادها الفكري، واسمه جوزيف مكارثي، السيناتور الأمريكي الذي قام في عام 1950، إبان الحرب الباردة، في الكونغرس، ملوحا بأوراق في يده تحوي أسماء 250 شخصية أمريكية من سياسيين وعسكريين و مثقفين، و صرخ بأعلى صوته متهما إياهم بأنهم شيوعيون موالون للاتحاد السوفيتي و أعداء لأمريكا، و لم يكن لديه دليل واحد على صدق تهامه. كان هذا هو المنهج الذي اتبعه مكارثي، إنه الاغتيال المعنوي للخصوم، وذلك بتشويه صورتهم، ورميهم بكل التهم التي تجعلهم مدانين، وينبغي التخلص منهم. ولم يقتصر منهج مكارثي على داخل أمريكا، بل تجاوزها إلى الخارج. وقد كان من ضحاياه شاعر الشيلي الشهير بابلو نيرودا. ولعل بعض أنظمة الجور والاستبداد في عالمنا أثرت الجمع بين المنهجين، فهي تبدأ بتشويه الخصوم، ولا سيما المتدينين منهم، برميهم بتهمة التطرف والإرهاب. فإن أخفق هذا المنهج في لجم الخصوم كان الإعدام، بمحاكمة وبغير محاكمة.

فأين نحن من حرية الرأي والتعبير التي ضمنها ديننا الحنيف؟

إلى أن نلتقي

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾

هجرة الرسول المصطفى ﷺ إلى المدينة المنورة حدثٌ ليس كباقي الأحداث؛ فلقد أُسري به قبل الهجرة بفترة ليست بعيدة، من مكة إلى بيت المقدس، وعُرج به إلى السموات العلا، وكان بالإمكان أن يهاجَر به كما أُسري به ﷺ، بشكل خفي وسري، وبقدرة القدير السميع العليم، دون أن يعلم بذلك المتربصون به، ويكون ذلك معجزة أخرى أكبر وأجل، وخاصة بعد المكر الذي مُكر به كما ذكر رب العزة في كتابه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾، وكذلك بعد أن بدأت دعوته تنتشر هنا وهناك، ويُقبل من يقبل على اعتناق الإسلام، ثم خاصة أيضا في خضم ما يعانيه أتباعه المستضعفون من اضطهاد وتعذيب، حتى تكون الدلالة على النبوة أوضح وأدل.

لكن الله تعالى اختار لرسوله طريقا آخر، لأن الهجرة نهاية مرحلة وبداية أخرى، إنها بداية لتأسيس دولة بالمفهوم الكامل للدولة، وتأسيس كل شيء لا يُبنى على المعجزات والغيبيات والخوارق، وإنما يبنى أولا وقبل كل شي على أساس واقعي، مما هو متعارف عليه في السنن الكونية، فيكون ذلك من التدبير الإنساني والتخطيط البشري، ثم يأتي مع ذلك التأييد الرباني توفيقا وتسديدا ليكون ذلك التدبير قائما على أساس تقوى من الله ورضوان.

لذلك كانت هجرة الحبيب المصطفى ﷺ تدبيرا يحمل كل السمات البشرية الإنسانية كما هو واضح في ما ذكرته كتب السيرة النبوية، وبيّنته دراسات حديثة بشكل مفصل، لكن بالطبع، مع استحضار النية ورجاء التوفيق الرباني.

وعلى هذا الأساس كان عليه الصلاة والسلام في ترتيبه لأمر الهجرة رائدا في تقديم دروس ترتبط بواقع المرحلة، ليكون ذلك درسا مبيِّنا لمن يأتي بعده أن أي بناء للإنسان والمجتمعات لا يكون بالتواكل، ولا بالاعتماد على الآخر، ولا بالغش والتحايل، وإنما بالاعتماد على النفس ونكران الذات مع خشية الله تعالى وحسن التوكل عليه.

ولقد بينت أحداث الهجرة بتفاصيلها الكبيرة والدقيقة معاً، كيف أن التخطيط المحكم مع الإيمان المطلق بعناية الله تعالى وتوفيقه، والتوكل عليه حق التوكل، والتسليم بإرادته، يؤدي بشكل قطعي إلى الاطمئنان على الحال والمآل؛ ومما يدل على ذلك أمران كبيران:

– وصول المشركين إلى الغار بعد أن اعتمدوا ما لديهم من خبرة في اقتفاء الأثر، حتّى قال أبو بكر رضي الله عنه: "لو أنَّ أحدهم نظر تَحْت قدمَيْه لأبصرنا"، فيجيبه الرسول ﷺ مطمَئناً، ومُطَمْئناً: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن؛ فإن الله معنا».

– إدراك سُراقة بن مالك للرسول ﷺ وصاحبه، وهما في طريقهما إلى المدينة، بعد أن استعمل كل ما لديه من حيل للاستئثار بالجائزة التي أعدتها قريش لمن يأتي بمحمد حيا أو ميتا، لكن لما رأى من آيات الله ما رأى ناداهما بالأمان، وطلب من الرسول ﷺ أن يكتب له كتاب أمان لما يستقبل من الزمان، بعد أن أيقن أنه ممنوع منه وأن أمره سيظهر –كما قال–.

ومن الملاحظ أنه كل مع هذا الاطمئنان من أن أمر الرسول ﷺ سيظهر، وأن التأييد الرباني واضح، ليس من قِبَل الرسول فقط، ولكن من قِبَل من جاء يطلبه، نجد المصطفى ﷺ يحرص على المزيد من الأخذ بالتدابير الإنسانية، فيقول لسراقة وقد أخبره بما أخبر، وعرض عليه ما عرض، يقول له: «أخْفِ عَنّا». (من الإخفاء).

هذان حدثان من الأحداث الكبيرة للهجرة النبوية، تبرهن بشكل واضح على أن الرسول كان قدوة في كل شيء، في السراء والضراء، في المنشط والمكره، فمتى نتخذه إسوتنا وقدوتنا في حياتنا كلها، فنعمل لدنيانا اعتمادا على أنفسنا لا على غيرنا، متوكلين على الله ﷻ لا على أحد سواه، لنعيش مكارم الأخلاق التي جاء ليتمها، وليسود مجتمعاتنا العدل والحرية والمساواة وحسن التعامل، وتختفي الكراهية والاستعباد والظلم وسوء التعامل.

أ.د. عبد الرحيم الرحموني

وفاة العالم محمد فوزي فيض الله

انتقل إلى جوار ربه العالم السوري الجليل الدكتور محمد فوزي فيض الله عضو الهيئة الشرعية في الكويت صباح يوم الإثنين الخامس من محرم الحرام 1439 الموافق 25 سبتمبر 2017 في تركيا. بعد حياة حافلة بالعلم وتدريس الفقه وأصوله إذ كان الفقيد استاذاً في كلية الشريعة ورئيساً للجنة الفتوى فيها وعضواً في اللجنة العلمية في الموسوعة الفقهية وعضواً في هيئة الفتوى والرقابة الشرعية في بيت التمويل الكويتي بالإضافة إلى دروسه الشرعية،وإشرافه على العديد من الرسائل العلمية.

وللمرحوم عدة مؤلفات وكتب نذكر منها:

الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، نظرية الضمان في الفقه الإسلامي العام، الزواج وموجباته في الشريعة والقانون، الإلمام بأصول الأحكام، وغيرها...